وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

قسم العلوم الإجتماعية

تأثير النزعة الرومانسية على التأويل

- شلايرماخر-

مذكرة.....

إعداد الطلبة :

- روميسة بن رابح

إشراف الأستاذ :

- لعقيبي لزهر

السنة الجامعية : 2020 / 2021

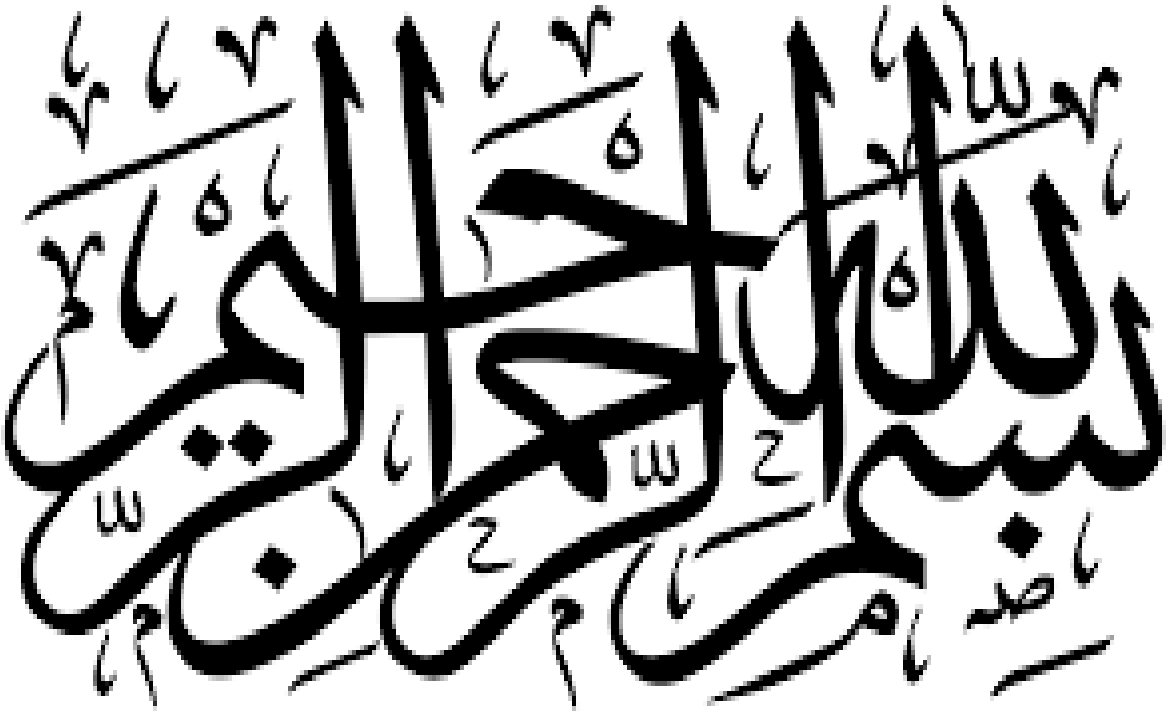
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

نشكر الله عز وجل ونحمده على توفيقه لنا في إتمام هذا العمل.

أتقدم بشكري

الجزيل إلى الأستاذ المشرف **" لعقيبي لزهر"** الذي أشرف على هذا العمل وتابعه من بدايته إلى نهايته، والذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته، التي أنارت لي طريق البحث الفلسفي، فهو لم يكن مجرد موجه بل كان بمثابة أبي الثاني.

كما أشكر أيضا جميع أساتذة الفلسفة على عطائهم الدائم، وكل من ساهم في انجاز هذا العمل سواء من قريب أو بعيد.

الإهداء:

أهدي عملي هذا:

إلى جدي عرفانا بفضله وتقديرا له أطال الله في عمره.

إلى من دعمني وسندي في الحياة أبي العزيز.

إلى رمز العطاء ومنبع الحب والحنان أمي الغالية.

إلى من زينوا حياتي بوجودهم أخوتي وأخواتي.

إلى صديقاتي: منيرة، الرميصاء، مريم.

خطة البحث

المقدمة

الفصل الأول: التأصيل الفلسفي لمصطلح التأويل وتطوره

المبحث الأول: مفهوم التأويل وتطوره

أولا: مفهوم التأويل

ثانيا: تطور مصطلح التأويل من ميثافيزيقا المعنى الى إشكالية الفهم

المبحث الثاني: النزعة الرومانسية بوجه عام

أولا: مفهوم النزعة الرومانسية

ثانيا: نشأة النزعة الرومانسية

المبحث الثالث: المسار الفكري لشلايرماخر

أولا: حياته

ثانيا: المصادر الفكرية لشلايرماخر

الفصل الثاني: تأثيرالنزعة الرومكانسية على هرمينوطيقا شلايرماخر

أولا: التأويل اللغوي

ثانيا: التأويل التقني

ثالثا: الدائرة التأويلية

المبحث الثاني: تأثير النزعة الرومانسية على فلسفة شلايرماخر

أولا: تأثيرها على الدين

ثانيا: تأثيرها على الأخلاق

الفصل الثالث: مزايا ومآخذ عن فلسفة شلايرماخر التأويلية

المبحث الأول: امتدادات المشروع التأويلي لشلايرماخر

أولا: تأثيره على دلتاي

ثانيا: تأثيره على هيرش

المبحث الثاني: أهم الإنتقدات التي تعرضت لها الفلسفة التأويلية لشلايرماخر

أولا: نقد هانز جورج غادامير

ثانيا: نقد بول ريكور

الخاتمة

مقدمـــــــــــــــة

أحدث مفهوم الهرمينوطيقا مخاضا فكريا جديدا في بداية العصر الحديث، بعيدا عن الانحصار الذي طال المرجعيات الثقافية التي تخص الفكر الغربي، وكذلك الضغوطات المؤرقة التي عرفها العالم، فالهرمينوطيقا في تطور دائم وهي مصدر للحقائق، من خلال دراسة النصوص، وبالتالي فالإنسان يبحث عن وسائط لفهم النصوص الدينية والفلسفية السابقة له والبحث في هذه الوسائط والوسائل هو مهد الطريق لظهور الهرمينوطيقا التي كانت عبارة عن منهج وأسلوب لفهم النصوص الدينية أي كانت في بداية الأمر تتعلق بشرح وتفسير رسالة الآلهة، ثم أخذ مصطلح الهرمينوطيقا يتطور تدريجيا، ويتخلى عن المعنى الميتافيزيقي ويبحث بشكل أوسع عن طرق الفهم الصحيح للنص ومع بدايات الفلسفة الحديثة التي أحدثت منعرجا حاسما في تاريخ المعرفة الإنسانية بوجه عام والهرمينوطيقا بوجه خاص حيث كان للفيلسوف الألماني فريدريك شلايرماخر أثرا واضحا في الهرمينوطيقا، حيث أعطى لها توجها جديدا من خلال نقلها من مجال الدين إلى مجال الفلسفة، متأثرا بالنزعة الرومانسية التي سادت في ذلك الوقت وفي ظل هذا الطرح عالج شلايرماخر علاقة الذات بالموضوع في عملية التأويل ليفتح بذلك المجال لتوسيع هذا المفهوم وتكوين أرضية خصبة لإبداع وابتكار الجديد في مجال الهرمينوطيقا.

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة استعنا بمؤلفات شلايرماخر منها خطاب في الدين وبعض المراجع الأساسية التي كانت بمثابة مفاتيح لهذا البحث.

ومما سبق ذكره توجب هذه الدراسة طرح الإشكالية الآتية: كيف أسس شلايرماخر للهرمينوطيقا الرومانسية ؟ وعليه فهذا الإشكال تندرج تحته مجموعة من الأسئلة الفرعية وهي: ما هي الأصول الفلسفية لمصطلح التأويل ؟ ما هي أهم تجليات النزعة الرومانسية على فلسفة شلايرماخر التأويلية ؟ وما هي أهم المزايا والمآخذ لهرمينوطيقا شلايرماخر ؟.

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع هو أن فريدريك شلايرماخر يمثل أحد أقطاب التأويلية الحديثة بحيث تحول التأويل معه من مجرد تأويل النص الديني إلى تأويل النص الفلسفي، أما السبب الثاني هو منح القارئ فرصة الاطلاع على الانتاجات الفكرية الغربية بشكل عام والفيلسوف شلايرماخر بشكل خاص، حيث تكاد الدراسات العربية تنعدم حوله.

وكأي بحث أكاديمي لا يخلو من الصعوبات والعوائق والتي تمثلت في انعدام المصادر باللغة الأم العربية خاصة في النصوص المراد دراستها، وكذلك من بين الصعوبات التي واجهتنا هي قلة الدراسات حول الفيلسوف شلايرماخر.

واعتمدنا في عرض أفكار دراستنا هذه على المنهج التاريخي في دراسة تاريخية مصطلح التأويل، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي بالإضافة إلى النقدي من أجل الوصول إلى حل للمشكلات المطروحة، وتم تقسيم البحث غالى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة.

المقدمة وقد اشتملت في الأساس على التعريف بالموضوع ومدى أهمية في العصر الحديث، وقد حددت من خلالها أسباب ودوافع اختيار هذا الموضوع بالإضافة الى الإشكالية الأساسية والتي تتفرع منها مشكلات جزئية، وبتأكيد ذكر الصعوبات والعوائق التي واجهتنا في انجاز هذا البحث.

أما الفصل الأول فوضعته تحت عنوان تاريخية مصطلح التأويل وتطوره، بحيث عرضت فيه مفهوم الهرمينوطيقا وتطورها منذ العصر اليوناني إلى غاية الفلسفة الحديثة مع تركيز على أهم الفلاسفة الذين ساهموا في تبلور الفكر التأويلي عند شلايرماخر.

وبالنسبة للفصل الثاني والمعنون بتجليات النزعة الرومانسية على فلسفة شلايرماخر التأويلية، فتناولت فيه مفهوم النزعة الرومانسية ونشأتها كما تناولت بالتحليل العملية التأويلية عند شلايرماخر والتي ترتكز بالأساس على التأويل اللغوي والتأويل التقني بالإضافة إلى الدائرة التأويلية، كما تطرقنا أيضا إلى تأثير الرومانسية على الدين والأخلاق.

والفصل الثالث المعنون بمزايا ومآخذ فلسفة التأويل عند شلايرماخر، حيث كان عبارة عن امتدادات للمشروع التأويلي لشلايرماخر والذي مثله دلتاي وهيرش كأبرز المتأثرين به، كما قمنا في هذا الفصل أيضا يرصد أهم الانتقادات التي وجهت لشلايرماخر، والتي كانت من طرف هانز جورج غادامير وبول ريكور في المنعطف التأويلي.

الفصل الأول
التأصيل الفلسفي لمصطلح التأويل وتطوره

المبحث الأول : مفهوم التأويل وتطوره

أولا : مفهوم التأويل

ثانيا: تطور مصطلح التأويل من ميتافيزيقيا المعني إلى إشكالية الفهم

المبحث الثاني : النزعة الرومانسية بوجه عام

أولا : مفهوم النزعة الرومانسية

ثانيا : نشأة النزعة الرومانسية

المبحث الثالث : المسار الفكري لشلايرماخر

أولا : حياته

ثانيا : المصادر الفكرية لشلايرماخر

تمهيد

يعد مصطلح لهرمين وطيقا(التأويل) مصطلحا غامضا ومتشعبا لما يحمله من معان مختلفة ومتعددة وذلك حسب مواضع استعماله، وبالتالي من الصعوبة على أي باحث أن يحدد مفهوما معينا للتأويل الذي يرتبط بالعقل بشكل مباشر، ولما سادت المعتقدات والأفكار الميتافيزيقية التي قيدت الفكر الإنساني وأدخلته في غياهب الظلمات، خاصة باختلاف الترجمات وتعدد القراءات ومن هنا يكون التأويل الوسيلة الأكثر نجاحا لتنوير الفكر الإنساني ومعالجة أهم القضايا والمواضيع التي تسود عصره بغرض الوصول إلى الحقيقة، وقد مر التأويل بمحطات مختلفة منذ بدايته في الفلسفة اليونانية والعصر الوسيط الذي انقسم إلى تيار يهودي مع فيلون السكندري وتيار مسيحي مع القديس أوغسطين ، ثم جاء الفيلسوف فردريك شلايرماخر الذي نقل الهرمين وطيقا من مجال الدين إلى مجال الفلسفة، وكان من أبرز رواد النزعة الرومانسية التي أعلت من قيمة العواطف في مقابل العقل، وهذا ما يقودنا إلى طرح التساؤلات الآتية: ما التأويل؟ وهذا السؤال سيشكل نقطة بدأ بحثنا، حيث سنعرض مرحل تطور الهرمينوطيقا ، كما سنعرض أيضا في هذا الفصل المرجعية الفكرية شلايرماخر ، وفي الأخير سنذهب إلى النزهة الرومانسية في تعريفها ونشأتها.

المبحث الأول: تاريخية مصطلح التأويل وتطوره

لقد اختلف الفلاسفة الغرب والعرب على حد سواء حول مصطلح التأويل أو الهرمينوطيقا باعتباره معقدا ومرتبط بعدة عمليات عقلية، كما ساهم الفلاسفة في احداث تطورات حاسمة في تاريخ الهرمينوطيقا وعليه نطرح السؤال الآتي: ما مفهوم الهرمينوطيقا؟ وماهي أبرز المحطات التي مرت بها؟

أولا: التعريف اللغوي

يعود مصطلح الهرمينوطيقا (héroménetuticu) في بداياته الى كلمة هرمس(hermès)، وهو عند اليونانيين رمز للحكمة وهو يطابق عند المصريين، إله طوط ويسميه العرب طاطس، وهو يرمز للعدل والحكمة[1]

أما هرمسية(hermétisme) فهي مرادفة للكيمياء السحرية(Alchimie)

ويرجع الترادف بين هذين اللفظين إلى أن أصحاب الكيمياء عند اليونان ينتسبون إلى هرمس ويعودنه معلمهم الأول[2]

والهرمينوطيقا هي الاستعمال التقني لآليات ووسائل لغوية ومنطقية وتصورية ورمزية و إستعارية[3]

والتأويل في الفلسفة العربية اتخذ عدة معاني ودلالات حسب مواضع استخدامه.

فقد جاء تعريف التأويل في المعاجم مختلفا، ففي المعجم الوجيز هو تحريف النصوص عن مراد قائلها وهو عند المتأخرين هو صرف اللفظ عنه الراجح إلى معنى مرجوح لقرينه، وليس في مذهب السلف تأويل، بل كل نص صحيح يأتي به خصومهم لدلالة على ضرورة التأويل فإن فيه نفسه عند السلف ما يدل على التنزيه في ذاته وعدم مماثلة المخلوقين والتأويل عند المبتدعة هو أحد وجهي التنزيه. [4]

نفسه عند السلف ما يدل على التنزيه في ذاته وعدم مماثلة المخلوقين والتأويل عند المبتدعة هو أحد وجهي التنزيه. [5]

-أما في معجم ابن منظور:الأول:الرجوع، آلى الشيء يؤول ألا ومآلا رجع، و آلى الشيء: رجعه.

وألت عن الشيء ارتددت يقال: طبخت النبيذ حتى أل إلى الثلث أو الربع أي رجع، والأيل من الوحش: الوعل قال الفارسي، سمية ذلك لما له إلى الجبل يتحصن فيه[6] فيأتي التأويل في لغة العرب بمعنى العودة والرجوع .

ولقد جاء في القرآن الكريم لفظ تأويل بمعاني متعددة واستعملات مختلفة، حيث نجد في قوله تعالى "يعلمك من تأويل الأحاديث"[7] بمعنى يعلمك تعبير وتفسير الرؤى، أما في قوله تعالى " وزنوا بالقسطاس ذلك خير وأحسن تأويلا"[8]، فيقصد بتأويل هنا النفع والخير الكثير، وجاء التأويل أيضا في القرآن الكريم سبعة عشر مرة بعدة دلالات.

التأويل إصطلاحا:

[1] -مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص664.
[2] -جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص519.
[3] -جعفر صفاء عبد السلام: هرومنطيقة (الأصل في العمل الفني)دراسة في الأنطولوجية المعاصرة، مطبعة سامي الإسكندرية، 2000، ص8
[4] -سفر بن عبد الرحمن الحوالي :المعجم الوجيز، دار منابر الفكر، جدة ، 2015، ص32.
[5] -سفر بن عبد الرحمن الحوالي :المعجم الوجيز، دار منابر الفكر، جدة ، 2015، ص32.
[6] -ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، ص130.
[7] -سورة يوسف: من الآية 6.
[8] -سورة الاسراء: من الآية 35.

أخذ التأويل معاني عدة منها: التفسير، الشرح، الترجمة (الكتاب المقدس)، وذلك حسب تعدد الاتجاهات الفكرية والرؤى الفلسفية:

في علم اللاهوت تدل كلمة هرمينوطيقا على فن التأويل وترجمة الكتاب المقدس، فالتأويل هو العلم الديني بالأصالة والذي يكون لب فلسفة الدين ويقوم عادة بمهمتين متمايزتين تماما :

*البحث عن الصحة التاريخية للنص المقدس عن طريق النقد التاريخي

*فهم معنى النص طريق المبادئ اللغوية[1] .

لقد استخدم مصطلح التأويل بمعنى الترجمة في سياق مخصوص هو ترجمة النص التوراتي من العبرية إلى الإغريقية ، فالترجمة إذا اعتبرناها شكل من أشكال العملية التأويلية الأساسية المرتبطة بالفهم(compréhension)، فإننا نستطيع من خلالها إدراك ذواتنا وتحديد رؤانا للعالم من حولنا إذ الترجمة عبور لغة أخرى إلى نشاط المؤول (hermines)هو بالضبط ترجمة أو نقل أو إيضاح العبارات الغريبة والمبهمة إلى لغة واضحة من طرف الجميع [2].

فالهرمين وطيقا في الماهية الاصطلاحية تشغل في البحث عن المعنى وغموضه ومحاولة كشف ما تحت السطح، سطح النص أي كان نوعه وتبينه، وفهم دلالته التي قد تكون غائية والتي لا تعلن عن نفسها مباشرة ، فقراءة النصوص هنا قراءة دلالية في المساحات ولأشكال والبني الكونية والتي تنتظر من القارئ أن يستوحي المعنى ويؤوله[3] .

ومن الباحثين العرب الذين اهتموا بالتأويل نجد، نصر حامد أبو زيد حيث ميز بين كل من الهرمينوطيقا والتفسير ، مصطلح قديم بدأ استخدامه في دائرة الدراسات اللاهوتية ، يشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني (الكتاب المقدس)، والهرمينوطيقا بهذا المعنى تختلف عن التفسير الذي يشير إليه المصطلح (exegisis) على اعتبار هذا الأخير يشير إلى التفسير نفسه في تفاصيله التطبيقية بينما يشير المصطلح الأول إلى نظرية التفسير[4] .

أما التأويل عند علي حرب، فهو صرف اللفظ إلى معنى يحتمله ، انه انتهاك النص وخروج دلالة ولهذا فهو يشكل إستراتجية أهل الاختلاف والمغايرة ، و به يكون الابتداع والتجديد أو الاستئناف وإعادة التأسيس ، ومأزق التأويل انه يوسع النص بصورة تجعل القارئ يقرأ فيه كل ما يريد أن يقراه [5]، بمعنى عدم ربط النص بمعنى أو حقيقة واحدة والبحث عن معنى محتمل من معاني متعددة مما يجعل النص تكون له عدة معان.

أما الهرمينوطيقا عند فلاسفة الغرب فقد اختلفت من فيلسوف لآخر

[1] -حسن حنفي: تطور الفكر الديني الغربي في الأسس والتطبيقات، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،ط2004،1، ص37..
[2] -محمود خليف خضير حياني: ما ورائية التأويل الغربي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013،ص42.
[3] -الرويلي ميجان وسعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،2000،2، ص47
[4] -نصر حامد أبو زيد: الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2000، ص174.
[5] -علي حرب :الممنوع والممتنع، نقد الذات المفكرة ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، ص22.

فقد عرفها بول يكور على أنها عمليات الفهم في علاقتها مع تفسير النصوص[1] بمعنى النص عنده ليس مجرد كلام، وليس مجرد خطاب بل هو كما يعرفه كل خطاب مثبت بالكتابة ، ويؤكد ريكور إن الخطأ والصواب هو ما أثار الخطاب ويتطلب إثارتين أساسيتين هما الاسم والفعل، فهو يريد أن يشير بذلك أن الكلمة لا وجود لها دون الجملة لأنها هي من تجسد أثارها[2].

ثانيا:تاريخية مصطلح التأويل وتطوره(من ميثافيزيقا المعنى الى اشكالية الفهم).

يعد مصطلح التأويل قديم، فقد ظهر منذ الفلسفة اليونانية وعرف تطورات حاسمة جعلت منه علما مستقلا له فلاسفته، وسنعرض أهم المراحل التي مر بها التأويل.

في الفلسفة اليونانية:

1-أفلاطون: (Platon) 428ق.م/397ق.م

استعمل الفيلسوف اليوناني أفلاطون مصطلح الهرمين وطيقا في محاورة" أيون" وهو شاعر يقوم بتلاوة أشعار هوميروس، ومن ثم فهو يقوم بالتعبير والتأويل وتفسير معانيه، مما يجعله حاملا لرسالة هوميروس لإيصالها للمستمعين، وهذا ما يجعل وظيفته شبيهة بوظيفة هرمس*[3].

ومن هنا نرى أن الهرمين وطيقا تتم وضع في إطار ديني يتعلق بتفسير رسائل الآلهة وبالتالي العملية التأويلية تتطلب حضور ثلاث عناصر أساسية وهم المُرسل وهو (الآلهة) والمُرسل إليه (المستمعين) والمؤول وهو الذي يحمل الرسالة ويفسرها ويشرحها للمستمعين[4]، كما يقدم لنا في محاورة بروتاغوراس هرمس على انه مبعوث زوس*، ويرتبط اسمه بالخطاب ونشاطه يتوقف على قدرته على الخطاب، فهو مؤول ورسول[5].

أرسطو: Aristote(384 ق.م- 332 ق.م).

يعتبر أرسطو من أهم من فلاسفة اليونان حيث وصلت الفلسفة على يده قمة العقلانية، وكان التعارض بين الدين الأسطورية والفلاسفة العقلية قد بلغ ذروته في هذه المرحلة، وقد حاول أرسطو مذهب ميتافيزيقي يستعبد نهائيا كل تفسير أسطوري [6].

وأرسطو رأى انه من المفيد كتابة مبحث في التأويل وهو المبحث الثاني من الأورغانون وعنوانه

ويقر علم الدلالة بان قول شيء ما بخصوص شيء ما هو المعنى الكامل والقوي لكلمة تأويل[1]

---

[1] -بول ريكور: من النص إلى الفعل ، أبحاث التأويل ، تر، محمد برادة ،حسان بوريقة ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط1، 2000، ص58

[2] -نابي بوعلي: بول ريكور والفلسفة ، منشورات الإختلاف، الرباط، ط1، 2014، ص180.

[3] - بول ريكور:صراع التأويلات(دراسات هرمينوطيقية)، تر منذر عياش، مراجعة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2005، ص34.

[4] - بن حديد عارف:إشكالية القصدية في الممارسة الفنية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، 2009/2008

[5] - عبد العزيز العيادي: الهرمينوطيقا أو اسم الفلسفة الآخر، مجلة أوراق فلسفية، ع10، ص79، في الموقع .aorakphalsaphia.com

[6] -عبد الرحمن بدوي:أرسطو، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1953، ص274.

فالهرمينا عند أرسطو تشير إلى العمل الذي يقوم به الذهن، إذ يضع العبارات التي تتصل بصدق شيء ما أو بكذبه، والتأويل بهذا المعنى هو العملية الأولية للفكر، إذ يصوغ صادقا عن شيء ما [2]

والمعاينة السابقة الذكر لا تعدو أن تكون بالنسبة لأرسطو مدخلا إلى المنطق القضايا، المشروع المنطقي يحول دون تطور علم الدلالة ويعرقل الطريق المؤدي إلى هرمينوطيقا الدلالات المزدوجة المعنى فمعنى الدلالة يقتضي التواطؤ أي المحافظة على المعنى نفسه في مختلف إشكاله وفق تعريف مبدأ الهوية منطقيا أو انطولوجيا، وهذا التواطؤ ويتأسس على الذات الواحدة والتي هي عين ذاتها، واستنادا إليها تفنيد الحجج السفسطائية، ما لا يعني شيئا واحدا لا يعني شيئا البتة[3].

وبذلك فهو يبن في التأويل أن الرموز المكتوبة ما هي إلا تعبير رمزي لما هو معبر عنه شفا هيا، ليس هناك ما هو مفقود في سلسلة الانتقال من النفس إلى الخطاب ومن الخطاب إلى المكتوب، فالرمز المكتوب يعمل مثل العلامة التي تقدم بطريقة موافقة الصوت وانفعالات النفس ، فما هو مكتوب هو وسيلة دالة أو تذكير لكلمة النفس المعبر بها (المنطوقة)[4] لقد كان أرسطو عكس أستاذه أفلاطون فقد كان يعالج نصوص الفلاسفة السابقين عليه، حيث كان يعالج السياق الميثولوجي للنصوص بشكل مادي، عكس أفلاطون الذي يتناوله بشكل ثيولوجي، وبهذا المنهج يكون أرسطو هو مؤسس الهرمينوطيقا(فن الفهم، ومنهج تأويل النصوص)، حيث يظهر هذا المنهج على انه تأريخ للفلاسفة السابقين عليه، بينما هو في جوهره تأويل[5]

الفكر اليهودي:

لقد تميز الفكر اليهودي عن غيره من الاتجاهات الفكرية وذلك لان معظم مفكريه حاولوا التوفيق مابين الجانب الديني والفلسفي، ومن أبرز هؤلاء المفكرين فيلون السكندري*.

فيلون السكندري (philo of Alexandria)، الذي سعى إلى التوفيق بين العقل والنقل.

حيث كان الفكر اليهودي في الإسكندرية يتجاوز بعد التأثيرات الفلسفية إلا بعد ترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية (الترجمة السبعينية) هذه الأخيرة التي كان لها الدور الأساسي في نهضة الفكر اليهودي في الإسكندرية، وفيلون لم يكن السباق في فلسفته التأويلية بل كان التأويل الرمزي سمة عصره وسابقيه من الفلاسفة، لكن ما يميز التأويل الرمزي عنده انه كان يستخدمه في كثير من المواضيع حتى يتخلص من صعوبات التفسير الحرفي،بهدف الدفاع عن العقيدة الموسوية ضد من اتهموها بالطابع الأسطوري[6]، وهذا يعني أن فيلون حاول الجمع بين التناقضات والمتعارضات التي كانت قائمة بين الفلسفة والدين، حيث كانت فلسفته التأويلية تهدف إلى إثبات أن الحقائق الفلسفية التي جاء بها الفلاسفة اليونان لا تتعارض مع الدين اليهودي، بل هي موجودة أساسا فيه.

---

[1] - المرجع نفسه: ص277، 278.

[2] - نبيهة قارة: الفلسفة والتأويل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1،1998،ص7.

[3] - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جامير، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2003، ص17.

[4] - بن حديد عارف: التأويل عند هانز جورج غادامير، مرجع سابق، ص14.

[5] -شرف الدين عبد الحميد:تأريخ الفلاسفة اليونان الأوائل، قبل سقراط إعادة بناء وتأويل جديد، الدار المصرية اللبنانية، دط، دس، ص27.

[6] - لعموري شهيدة:التأويل الرمزي في النص الديني...-فيلون الاسكندري أنموذجا، دع، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية ولاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 11-04-2019.

الفكر المسيحي:

من بين أهم فلاسفة الفكر المسيحي نجد القديس أوغسطين.

استطاع أوغسطين (Augustins)، من خلال مؤلفه" العقيدة المسيحية" الذي يعد دراسة هرومنطيقة بامتياز، ومن الأعمال المؤثرة في التاريخ الهرومنطيقي على الإطلاق influent de l historique de herméneutique l'ouvragé tous مثلما يؤكد الدارسين في هذا المجال أن يقدم في هذا المؤلف أول هرومنطيقا منفردة أو بأسلوب رفيعgrand style héremeneutique de ، ويتميز النص الأوغسطيني عن من سبقه بوضع حد لإبهام او التعمية التي يعتمد البعض والكتابة المقدسة بها[1].

وبعد أن حول قسطنطين روما الوثنية إلى روما المسحية وبعد ثلاثة أوغسطين والمدرسة الفلسفية، إذ قام أوغسطين بوضع نظام جديد لفهم الكلمات وتأويليها، بحيث رجال الدين وحدهم من يستطيعون فهمها مثل الجنة والنار وغيرها من الكلمات، وهكذا أصبحت الهرومنطيقا حقلا ثانويا من اللاهوت وأصبح تفسيره بيد رجال الدين[2].

نادى القديس أوغسطين إلى العودة إلى المعنى الحرفي، فالوحي الإلهي مرسل إلى كافة البشر، على خلاف درجاتهم العلمية، سواء كانوا رجال الدين أو علماء أو عامة الناس لذلك يجب أن تكون واضحة ويفهمها الجميع فالأمل في الكتابة"هو الوضوح مطلقا، الأمر الذي يجعلها في متناول الصغار والضعفاء" [3]

فأوغسطين يرى أن مشكلة عدم الفهم هو تخلي الناس عن المعنى الحرفي والقراءات الشخصية ولجوئهم إلى رجال الدين ليشرحوا لهم معنى الكتاب المقدس مما جعل عملية التأويل حكرا على رجال الدين، فأوغسطين يعمل جاهدا على وضع قواعد وقوانين لعملية التأويل .

التأويل في العصر الحديث:

لقد قام فريدريك شلايرماخر (Friedrich shleimacher)بنقل الهرومنطيقا من مجال اللاهوت إلى مجال العلوم الإنسانية ليضع بذلك نظرية متكاملة في لفهم النصوص في كتابه المسمى (الهرومنطيقا الألمانية) الصادر عام 1819 مكونا علما أو فنا لعملية الفهم وشروطه في تحليل النصوص[4]، يعتمد التأويل عند شلايرماخر على جانبان لغوي ونفسي .

هذان الجانبان الموضوعي والذاتي، أو اللغوي والنفسي بفرعهما التاريخي والتنبؤي يمثلان القواعد الأساسية والصيغة المحددة لفن التأويل عند شلايرماخر[5]

[1] - عبد الغاني بارة: الهرومنطيقا والفلسفة، مرجع سابق، ص169.
[2] -محمد خليف خضير الحياني: إستراتجية صراع التأويلات في قصيدة (حلم ليلة فارغة) للشاعر احمد عبد المعطي حجاز، مجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، مج5، ع4، 30ديسمبر 2019، ص60
[3] -عبد الغاني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة، ص164
[4] -عبد الغاني بارة : الهرومنطيقا والفلسفة، مرجع سابق، ص169.
[5] -المرجع نفسه، ص22

يعد شلايرماخر أول من نقل الهرومنطيقا من مجال الدين إلى مجال الفلسفة مؤسسا علم خاص به، متنقلا في البحث عن المعنى إلى البحث عن الفهم ، وكذلك عمل على وضع قواعد وقوانين خاصة بالتأويل وبهذا يعد شلايرماخر بحق أبا للهيرومنطيقا الحديثة [1]

وهذا باختصار ما جاء به شلايرماخر في الهرومنطيقا لأننا سوف نتطرق إليه في المباحث والفصول الأخرى

فلهلم دلتاي(Wilhelm Dilthey)

يتجاوز دلتاي صرامة المنهج عند شلايرماخر يركز جهود مفهوم التجربة فهو يميز بين نوعين من التجربة:

1-التجربة المعيشة:التي استعملها في وصف علوم الفكر او العلوم الإنسانية

2-التجربة العلمية: التي تخص علوم الطبيعة وهذه التجربة تتمتع بطابع"العلمية" الذي يجعل التجربة المعيشة والتجربة الممارسة وجهين لنفس الحقيقة وبطابع الجدلية والتاريخية[2].

انطلاقا من ذلك نجد أن دلتاي عمم الهرمينوطيقا وربطها بالحياة وغاياتها، حيث صار ممكنا اعتبار التاريخ مجالا للتأويل والإقرار بان الحياة قدرة على فهم ذاتها من خلال تأويل الدلالات التي تحمل تموضعاتها المعبرة عن تجليها، وكي تتجاوز علوم الروح مشكلة الكلية والكونية نظرا إلى طابع الخصوصية والفردية المميز للتجارب الحية التي هي موضوع دراسة تلك العلوم يؤكد دلتاي أن الفهم وحده يلغى تحديد التجربة المعيشة الفردية، كما انه بعيد إلى التجارب المعيشة الشخصية طابع التجربة الحية من جهة أخرى، ومثلما ينطبق على تعددية البشر وعلى إبداعات روحية وجماعات ما، فانه يوسع أفق الحياة الفردية ويفتح داخل علوم الروح الطريق التي تقود إلى الكوني من طريق ما هو مشترك[3] وهذا يعني أن دلتاي حاول التمييز بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية من ناحية الموضوع والمنهج .

فالفكر تغيير عن الفردية النفسية التي تميز كل إنسان ولا يمكن صياغته في قانون مشاكلة القانون الفيزيائي، وهو أي الفكر يعبر عن نفسه بواسطة الرموز والتأويل والفهم هو القدرة على تجاوز هذه الرموز والعلامات ولذلك فالفهم هو هذا المسار الذي بفضله تكتشف باطنا بالاستناد إلى هذه الرموز[4] وهذا يعني أن دلتاي كان يحاول من خلال فلسفته الوصول إلى منهج واحد للعلوم الإنسانية يكون دقيق وشامل .

إدموند هوسرل(Edmund Husserl)

[1] -محمود خليف خضير الحياني: ما ورائية التأويل اللغوي، مرجع سابق، ص117-118

[2] -نابي بوعلي: بول ريكور والفلسفة، منشورات الاختلاف،ط1، 2013، ص109.

[3] -فؤاد مخوخ:من نقد العقل إلى هرمينوطيقا الرموز بحث في فلسفة الثقافة عند ارنست كاسيير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،ط1، 2017.

[4] -عبد الكريم شريفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2007، ص36

تعتبر الفينومنولوجيا (الظاهراتية) منهج يهتم بدراسة الظواهر يدخل ضمن تحولات العقل التأويلي، وقد استخدم إدموند هوسرل(*) لفظة الفينومنولوجيا للدلالة على منهج فكري واضح والمنهج الفينومينولوجي عند هوسرل هو منهج للرؤية الذهنية وان كانت الرؤية ذهنية كانت أم حسية، لا يعزوها منهج لكي ترى فربما كان النظر ما يتقدم الرؤية، وما يعزوه على بنيات بالتالي من يسدد بمنهجيته خطاه حتى يرى أن الفينومنولوجيا عند هوسرل ثلاثة وهي القصدية والعيان والمقولي ومفهوم القبلية فالقصدية هي قصد الشيء أو وعيه أي التوجه إليه، أما العيان المقولي فهو إدراك مباشر للشيء من حيث هو ذاته حاضر للوعي، أما القبلية هو ما يتسم بطابع أولي بحيث لا يتقدم عليه أي شيء أخر [1]

أما النوع الثاني فهي الفينومنولوجيا المتعالية حيث رأى هوسرل أن الفينومنولوجيا الوصفية بقت تدور حول الوعي التجريبي من اجل إظهار العلم من خلال إبراز الطابع البديهي الذي يميز كل تجربة أصلية وكذلك انشغالها بإظهار موضوعية المعرفة الذي يؤدي بها إلى الانزلاق نحو الوضعية بذلك يتحتم في نظر هوسرل التعالي على الأنا التجريبي على تجربته الطبيعية، أما النوع الثالث من الفينومنولوجيا هي الفينومنولوجيا التقومية ،و التقومية بمعنى الذي تتعين فيها أطروحتها كالتالي :

إن كل ما يوجد بصفته متقوما في وعي أوله ،وان وجود خارج الوعي هو عدم او لا معنى ،وبهذا يكون هوسرل قد اخرج الفينومنولوجيا من مفهومها التقليدي القائم على البناء والإنشاء[2].

مارتن هيدغر (Martin Heidegger)

يتميز فكر مارتن هيدغر(*) منذ البداية انه محاولة لإقامة ظاهرة أنطولوجية ظاهرية وهو بذلك يستبعد كل نزعة دينية والواقع أن تفكير هيدغر لانشغل إطلاقا بمشكلة الدين أو الإله ولهذا يمكن اعتبار فلسفته الحادية في صميمها وأساسها الذي تنبع منه[3].

يرى أن اللغة ليست أداة اخترعها الإنسان ليعطي للعالم معنى او ليعبر عن فهمه(الذاتي) للأشياء اللغة تعبر عن المعنوية القائمة بين الأشياء أن الإنسان لا يستعمل اللغة بل اللغة هي التي تتكلم من خلاله العالم يفتح للإنسان من خلال اللغة وبما أن اللغة هي مجال الفهم والتفسير فالعالم يكشف نفسه لإنسان من خلال عمليات مستمرة من الفهم والتفسير أن اللغة ليست وسيطا بين العالم والإنسان، ولكنها ظهور العالم وانكشافه بعد أن كان منتشرا أن اللغة هي التجلي الوجودي للعالم [4]

ومن ثمة فان تفسير للنصوص هو تفسير للوجود، ومهمة تفسير النصوص هي مهمة الوعي بالوجود يؤكد هيدغر على نوع التفسيرات في المنهج الهرومنطيقي بأسباب من بينها: من كون العمل الفني تجربة وجودية لا تهبنا معناها في يسر فهي ناشئة عن توتر التعارف بين الخطأ والتجلي، والثاني يتمثل في عملية الفهم للعمل الأدبي ويكون تاريخي لأنه مرتبط بزمن معين وكذا المفاهيم التاريخية

[1]-د.أنطوان خوري: مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1،2008، ص41-47
[2] -مختار لزعر:واقع التأويلية بين الثابت والمتغير من أين والى أين؟)، مجلة أوراق فلسفية، العدد07،2002، ص47.
[3] -فؤاد كامل:أعلام الفكر الفلسفي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص196.
[4] -نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراءة واليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط1،2014، ص

تؤثر في فهمنا للنصوص أما السبب الثالث يتمثل في أن حقيقة الجود تتجاوز الوعي الذاتي وتعلو عليه، ومن ثم فان الوعي التاريخي ليس إلا عمليات مستمرة لفهم الظواهر والوجود [1]

ومن هنا نستنتج أن المنهج الظاهراتي يقوم على أساس ترك الأشياء تظهر كما هي بدون أي أحكام وأفكار مسبقة وهذا ما يجعل الأشياء تكشف عن نفسها بشكل أفضل .

هانز جورج غادامير(Hans Georg Gadamer):

-تؤلف أعمال غادامير(*) جماع القول على نحو ما في بحث التأويل وذلك لان العودة إلى غادامير هي عودة إلى الأصول فقد احتل الاهتمام بالتأويل مساحة معرفية واسعة ضمن مشروعه الفلسفي[2]

هانز جورج غادامير الذي يعد احد ابرز رواد فن التأويل، إذ خصص جزءا من دراسته للبحث في هذا الموضوع(الهرمينوطيقا) ويمثل كتابة (الحقيقة والمنهج) بؤرة البحث التأويلي، فقد ظل فترة طويلة قبلة للدارسين والباحثين في التأويلية[3]

إن البحث في ظاهرة الفهم والتأويل لا يتعلق بالبحث في المنهج الذي يجب أن نعتمده في العلوم الإنسانية بوجه خاص، وذلك لان هذه الظاهرة تتجاوز هذا المجال إلى مجالات أخرى كلاهوت والقانون والتي سبق لها أن اعتمدت على التأويل لفهم النصوص الدينية او القانونية، والتأويل يتجاوز حدود المنهج كما يتصوره العلم الحديث[4].

إن الهرومنطيقا ليست منهجا للعلوم الإنسانية بقدر ما هي فلسفة تبحث في الفهم كعملية أنطولوجية في الإنسان وهذا ما يميز الفلسفة الهرومنطيقية عند غادامير ، حيث تتجاوز النظرة التي تجعل من عملية الفهم ذاتية متجهة إلى موضوع محدد مسبقا[5] .

بول ريكور(Paul Ricœur)

يرى بول ريكور(*) أن النصوص تتحدث عن عوالم ممكنة وعن أنماط ممكنة للتوجه في هذه العوالم، وعلى هذا النحو يكون الاكتشاف، الكشف هو المعادل في النصوص المكتوبة للمرجعية في اللغة المحكية، ومنه يقوم عمل التأويل عل الإمساك بهذه العوالم التي يقترحها النص، فما هو منشود من فهم عمل ما أو تأويلية لا يتمثل في قصد المؤلف وإنما في العالم الذي يبسط هذا العمل[6] ، فالفهم في نظر بول ريكور يعرفنا على أمور جديدة لم نكن نعيها قبل عملية التأويل.

لقد اهتم ريكور بالنص باعتباره وحدة أساسية من وحدات الخطاب فهو يقسم الخطاب إلى وحدات: الكلمة ، الجملة، النص، والنص فس نظر بول ريكور هو كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة[7]

---

[1] -عمارة ناصر:اللغة والتأويل-مقاربات في الهرومنطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1،2007،71.

[2] -عبد الله خضر حمد: التصوف والتأويل، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع،دط،دس، ص172

[3] -عصام لطفي صباح: التلقي والتأويل في شعر زهير بن أبي سلمى، شركة دار الاكاديميون للنشر والتوزيع،دط، د س،ص54.

[4] -هانز جورج غادامير:الحقيقة والمنهج- الخطوط الأساسية كتأويلية فلسفية، تر حسن كاظم، علي حاكم صالح، دار أويا، طرابلس، 2007،ص27.

[5] -بن حديد عارف:التأويل عند هانز جورج غادامير، ص34-35

[6] -حسام الدين درويش: إشكالية المنهج في هرمينوطيقا بول ريكور وعلاقتها بالعلوم الإنسانية والاجتماعية نحو تأسيس هرمينوطيقا الحوار، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، دط،دس، ص150.

[7] -بلخن جنات: السرد التاريخي عند بول ريكور، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص37.

لقد ربط بول ريكو التأويل بالنص لأن هناك علاقة بين القراءة والنص فالنص يجعل المؤلف يصل إلى القارئ، كما يجعل القارئ يصل إلى المؤلف، وقد تختلف كل قراءة لنص ما عن قراءة أخرى لهذا النص بحيث يقول أن التأويل هو فن التطرق إلى النصوص في سياق مخالف لمؤلفها، أي أن النص يحمل عدة قراءات وتأويلات [1]، ومن هذا نستنتج أن بول ريكور أحدث منعرجا حاسما في تاريخ للهرمينوطيقا توجها جديدة من خلال جدلية الفهم والتفسير .

المبحث الثاني:الرومانسية بوجه عام

شهد العصر الحديث بداية ظهور مذهب جديد أخذ يتوسع شيئا فشيئا، وأعطى للذات الإنسانية قيمة داخل التنظير الفلسفي بشكل عام والتأويلي بشكل خاص، وهذا ما يدفعنا لطرح السؤال الآتي: ما مفهوم النزعة الرومانسية؟ وما هي أهم العوامل التي ساهمت في نشأتها؟.

أولا: تعريف النزعة الرومانسية

تتعدد تعريفات الرومانسية بتعدد مدارسها، وتختلف خلفياتها الفلسفية باختلاف البيئات الاجتماعية التي انبثقت عنها، ولذلك لا يمكن الجزم بأن ذلك التعريف هو التعريف الذي ليس بعده تعريف[2]

كلمة رومانسية مشتقة من كل(مRomance) وهي كلمة اسبانية الأصل، وتعني القصة أو الرواية التي تتكلم عن المغامرات الخيالية والعواطف الكثيرة وليس للعقل سلطة عليها، ولا تستند على الاسلوب التقليدي الكلاسيكي الذي يعتمد على الشكل الخارجي وتعلي من شأن الخيال الواسع و العميق الذي يتضمن الهروب من الواقع وعدم الالتفات كثيرا اليه[3].

والرومانسية مذهب جماعة من الفلاسفة الألمان ظهروا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، وعلى رأسهم فيخته وشلينج وهيغل، ويعول عل العاطفة والحدس والحرية ويستعين بالقواعد الجمالية والمنطقية[4].

وهذا يعني ان الحركة الرومانسية سيطرت على الفكر الغربي بحيث تعززت فيه الفردانية واتسع مدى تأثيرها فهي لم تعد تشمل فئة من المجتمع بل أصابت الجميع وتأصلت في البنية الاجتماعية.

 والنزعة الرومانسية في صلب حركتها تعبير عن خلق وتوليد للمشاعر الإنسانية وهي مشاعر تشكل بطبيعتها منبعا أخلاقيا قابلا للتطور ويتلاءم هذا التطور مع مقولة التقدميين ان التجار الإنسانية تستهدف الصيرورة والتقدم [5]

كانت الرومانسية الألمانية احتجاجا على الكلاسيكية المحدثة المستوردة من فرنسا، بما فيها من توكيد على" العقل" و "اللياقة" و"النظام" وهنا يفرق المؤلف بين نوعين من الرومانسية: رومانسية

[1] -واضح عبد الحميد: إشكالية التأويل وأنموذج النص في الفلسفة الغربية المعاصرة قراءة في هرمينوطيقا "بول ريكور"، رسالة تخرج لنيل شهادة دكتوراه ل- م- د، في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم،2015-2016،ص140.

[2] -عبد السلام عبد الخالق الربيدي:النص الغائب في القصيدة العربية الحديثة، دار عيداء للنشر والتوزيع،ط1، 2012، 127.

[3] -عاتكة البريني :تعريف الرومانسية، 7،59، 22، مارس 2020،انظر الموقع، http/www.mawdoo3.com

[4]-ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي.

[5] -ساید مطر: مسائل التعدد والاختلاف في الانظمة الليبرالية الغربية مدخل الى دراسة اعمال تشارلز تايلور، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، ط1،بيروت،2015،ص65

الحلم ورومانسية الحاضر في المكان والزمان، ويرى أن النوع الأول رجوع إلى التاريخ وحنين إليه وعيش في الماضي لذاته، أما الرومانسية التي تعنى بنوعية الخبرة الحاضرة فهي ما يدعوها المؤلف الحاضر في المكان والزمان، وهي تفسيرها الخبرة الحاضرة تنطوي على إمكانية نمو غير محدود[1].

فالرومانسية كما رأى لونجوي أصبحت تعنى عددا ضخما من الأشياء،بحيث أصبحت بذاتها لا تعبر عن أي شيء، أو من الناحية السياسية، فكانت الرومانسية غامضة نظريا ومنهجيا، فهي في تزامنها والثورة الفرنسية، وكان لا بد لها من التفاعل معها إيجابا وسلبا، فالثورة كما فهمها الرومانسيون كانت تمثل عقلانية القرن الثامن عشر وهذا سبب فشلها وهي لذلك حركة رجعية[2].

اتسمت الحركة الرومانسية بعدة أفكار ومبادئ أو مواضيع ميزتها عن غيرها من بينها:

ـالذاتية أو الفردية:

وتعد من أهم مبادئ الرومانسية، وتتضمن الذاتية عواطف الحزن والكآبة والأمل، وأحيانا الثورة على المجتمع،والتركيز على التلقائية والعفوية في التعبير الأدبي[3]

وهذا يعني أن الرومانسية أصبحت تهتم بالإنسان وتهدف لتحريره من جميع القيود التي كانت تحكمه من قبل، كما أنها لم تعد تهتم باللغة و انتقاء المصطلحات القوية كما كان في السابق بقدر ما تهتم بعفوية التعبير وطبيعته.

إن الرومانسيون يجحدون سلطان العقل ويتوجون مكانه العاطفة والشعور وتسليم القيادة للقلب الذي هو منبع الإلهام، والهادي الذي لا يخطئ، لأنه موطن الشعور،ومكان الضمير[4]، وهذا يعني أن الرومانسيون أعطوا السلطة للمشاعر والعواطف على حساب مبادئ العقل الذي سيطرت لسنوات ضمن المذهب الكلاسيكي، فالرومانسيون لا يهتمون بالقوانين والمبادئ العقلية التي كانت سائدة لأنها تقيد الإنسان، وفي المقابل أطلقوا العنان لحرية العواطف والمشاعر الإنسانية.

ـالاهتمام بالطبيعة: لأن الرومانسي يهوى العزلة والإنفراد كي يجنح بخياله الواسع دونما عائق أو عقبة يعمد إلى الخروج للطبيعة فالرومانسيون ضاقوا

ذرعا بما تضطرب به المجتمعات من حولهم، فولعوا بترك المدن إلى الطبيعة وكانت تروقهم الوحدة بيم أحضانها ليخلوا إلى الذات[5]، فالنزعة الرومانسية أصبحت تهتم بشكل أكبر بالطبيعة، حيث توجهت كتابات الفلاسفة والمفكرين والأدباء إلى الطبيعة والإنسان عكس ما كان سائدا في المذهب الكلاسيكي.

ثانيا: عوامل نشأة النزعة الرومانسية

جاءت الرومانسية على أنقاض المذهب الكلاسيكي في أروبا بعد سيطرت هذا الأخير لسنوات من الزمن.

---

[1] -عبد الواحد لؤلؤة: الصوت والصدى دراسات وترجمات نقدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الاردن، ط1،2005، ص187.

[2] -فيصل محمد البحيري:القانون والمجتمع دراسة في علم الاجتماع القانوني عند اميل دوركايم، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع،ط1، 2018، ص73.

[3] -بليغ حمدي اسماعيل:استراتيجية تدريس اللغة العربية، اطر نظرية وتطبيقات عملية، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، 2011، 148.

[4] -محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، ص16.

[5] -نفس المرجع، ص169.

سبق ميلاد الرومانتيكية في أرويا عوامل كثيرة منها ما يرجع إلى العصر:خصائصه الاجتماعية والسياسية ، ومنها ما يرجع إلى التيارات الفلسفية السائدة التي مهدت لتمجيد العواطف والإشادة بها، ومنها ما يرجع أخيرا إلى منابع أدبية جديدة،وهذا ما أدى إلى زلزلة القيم والمبادئ في الطبقات الاجتماعية، وصاحب هذا بعض التحلل الخلقي وقد قامت إلى جانب هذا جهود جدية ترمي إلى التحرر السياسي والفكري وتمثلت هذه الجهود في الطبقة البرجوازية التي اخذ عددها يتكاثر كلما تقدم بها ذلك العصر وأخذت كذلك تتطلع إلى الظفر بحقوقها السياسية والاجتماعية عل حساب الطبقة الأرستقراطية [1]

لقد ثارت الرومانسية على الواقع السائد الذي كان يصف بسيطرة الارستقراطية على مناحي الفن والجمال والحياة بعامة، فالرومانسية تمرد على كل ما في الحياة السائدة من موضوعات وكذلك الثورة على تحديدات الكلاسيكيين للفن، وقد نهج الرومانتيكيون نهجا مخالفا لأسلافهم، فمجدوا شأن العاطفة وجعلوا حقوق القلب تطغى على قوانين المجتمع ونظمه[2]

ثم تفتحت في أوربا وأمريكا خلال ربع قرن تقريبا في أقصى نهاية القرن الثامن عشر إلى حوالي 1865، إنها كالنار التي تشتعل أولا في بعض النقاط المتميزة، ثم تنتشر شيئا فشيئا بسرعة عظيمة، وبعد أن تلمع ببريق متفاوت تبعا لمختلف البقاع[3]، ومن بين أهم العوامل التي ساهمت في ظهور النزعة الرومانسية هي:

أ-العامل الاجتماعي السياسي:

تضافرت عدة عوامل اجتماعية و سياسية في أوربا ساهمت في تغيير الأوضاع،

ومهدت لظهور الثورة الفرنسية التي لحقتها،بوادر لظهور الحركة الرومانسية.

كان القرن الثامن عشر في أوربا عصر زلزلة القيم وتبديل في الطبقات الاجتماعية، واستخفافا في المبادئ القديمة، وقد صعب هذه الحال بعض التحلل الخلقي، وقامت إلى جانب هذه الزلزلة (في القيم والمبادئ والأخلاق) جهود معتبرة ترمي إلى التحرر السياسي والفكري والاجتماعي، وذلك على يد الطبقة البرجوازية المناقضة في رؤاها ومبادئها للطبقة الارستقراطية، وكانت ثمرة هذه الحركات ظهور الثورة الفرنسية إلى الوجود(1789) التي ساعدت على تدعيم حرية الكاتب بإقرار مبدأ الحرية العامة[4]

فقد كان عدد الطبقة البرجوازية في تكاثر مستمر لأنها تنادي بتحرير الإنسان من جميع قيوده الإجتماعية، كما حاولت هذه الطبقة الحصول على حقوقها الاجتماعية والسياسية على حساب الطبقة الأرستقراطية.

[1] -محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، نهضة مصر،دط،دسنة، ص26.
[2] -محمد رضا مبارك، بشرى جميل الراوي:مجلة الأداب، ع 130،2019، ص397.
[3] -بول فان تيغيم: الرومانسية في الأدب الأوربي، تر:صباح الجهيم،(دط)، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1981، ج1، ص27.
[4] -محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية(الكلاسيكية، الرومانتكية، البرناسية، الواقعية، الرمزية،الوجودية، الدادية، السوريالية)،دط، نوميديا للكباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007، ص65.

كما نجد الإحباط الذي قاسته دوائر إجتماعية واسعة لنتائج ثورة القرن الثامن عشر ساهم بشكل كبير في ظهور الحركة الرومانسية[1]، فالإنسان أصبح يعاني كثيرا بسبب مخلفات الثورة الفرنسية، وهذا ما جعل منه يناشد كل طرق التحرر وهذا ما مهد الطريق لظهور الحركة الرومانسية التي إهتمت بحرية الإنسان قبل كل شيء وسمحت له بالتعبير عن عواطفه ومشاعره بدون أي قيود.

ب-العامل الفلسفي:

كان للمفكرين والفلاسفة دور كبير في تغيير الوضع الذي كان سائدا فقد حاولوا تخليص الإنسان من القيود التي تحكمه والإعلاء من قيمته الفردية.

لقد وفر الفلاسفة الإعداد الأيديولوجي للثورة، فقد كانت الدول الأوربية حتى عام 1789م تعتمد على الدين في غرس قدسية الحكومات في النفوس، وحكمة التقاليد، والطاعة، وغيرها، وقد ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية، حيث إنتقد المجتمع في مسائل متعددة، ففي رسالته التي بعنوان(بحث في منشأ عدم المساواة وأسسه)1755م هاجم المجتمع والملكية الخاصة بوصفها سببا من أسباب الظلم [2].

فالفلاسفة حاربوا الظلم والقهر الذي كان سائدا في مجتمعاتهم عن طريق فلسفتهم، حيث انتقدوا أنظمة الحكم السائدة ودعوا إلى تطبيق مبدأ المساواة بين الناس.

ج- العامل الأدبي:

عرف الأدب الفرنسي مجموعة من الأعمال الأدبية التي شكلت إرهاصات الرومانسية نذكر منها: (الحكم) لشامفور، (بول وفرجيني) لبرنارد دسان –بير، و(مجلدات) رستيف دلابريتون وغيرها من الأعمال التي تور في القراء إلى يومنا هذا، ظهرت هذه الأعمال وغيرها في بيئة أدبية خصبة، فقد كثرت المدارس، والمكتبات، ومجموعات القراء، والمحاضرات، والصحف، والمجلات، والنشرات والكتب، لم يكن يلم بالقراءة من الشعب الفرنسي غير قلة من الناس، ومع ذلك كان الملايين منهم متعطشين الى المعرفة، واتسع الطلب على الموسوعات، وكان الفلاسفة والمصلحون يعلقون الآمال على نشر التعليم[3].

كما ساهمت كتابات شكسبير في القارة الأوربية من طرف فولتير، وذلك بعد مائة سنة من وفاته، رغم عيش "وليام شكسبير" في الزمن الكلاسيكي فقد خرج في كثير من الأحيان عن بعض خصائص الكلاسيكية كتجاوزه لقانون الوحدات الثلاث وعرضه على خشبة المسرح مناظر الحرب أو القتل والمزج بين المأساة والملهاة، وقد تأثر" فيكتور هيجو" بفنيات "وليام شكسبير" المجددة ودعا أصحابه من الرومانتكين إلى الاحتذاء به[4]

[1] - مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي،دار أسامة، الأردن،دط، 2012، ص245.
[2] -نغم عاصم عثمان: الرومانسية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية،ط2017،1، ص36-37.
[3] -نغم عاصم عثمان: الرومانسية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية، مرجع سابق، ص40-41.
[4] - محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، مرجع سابق، ص6-7.

وهذا يعني أن الأعمال الأدبية ساهمت بشكل كبير في التخلص من القوانين والالتزامات التي فرظها المذهب الكلاسيكي،و ساهمت في بعث روح جديدة ونظرة مختلفة للأدب، الأمر الذي جعل نور الرومانسية يلوح في الأفق معلنا بذلك بداية لمذهب جديد.

المبحث الثالث:المسار الفكري شلايرماخر

الفلسفة التأويلية، فقد اسقي أهم أفكاره من مرجعيات مختلفة، وهذا ما سنتطرق إليه من خلال هذا المبحث.

أولا:حياته

كان شلايرماخر لاهوتيا وفيلسوفا مثاليا ألمانيا ولد عام 1768 وأسس الجامعة في برلين منه همبولت فيما بين عامي 1798 و1810 حيث عمل بالتدريس فيها لم ينل شلايرماخر ما يستحق من الشهرة في مراجع تاريخ الفلسفة المتداولة فقد كان منصرفا إلى اللاهوت بشكل رئيسي ومقلا بالتالي في نشر أعمال فلسفية[1]

في عام 1783دخل المدرسة الثانوية للإخوة الوافيين في نييكي ثم ما□لبث أن انظم إلى رعيتهم في باربي عام 1785 والمعلوم إن الإخوة الورافيين كانوا يولون أهمية خجولة للعقائد المسيحية وكانوا يفضلون التشديد على عفة القلب وعلى الخلاص بدم المسيح، كما كانوا يبشرون دائما بالارتداد الشخصي وبتطبيق الإيمان في الحياة اليومية، تأثر شلايرماخر في البدء بمذهب هؤلاء

ولكنه تنبأ□فيما بعد إلى وجود مسلكين لاهوتيين متناحرين، العقلانية التي تعيد المسيحية إلى حدود العقل، وتصف يسوع أنه معلم روحي بامتياز وهو مسلك لاهوتي يحاول أن يخلص العقيدة المهددة بأسلحة العلوم والفلسفة [2] ، فقد غلب الطابع الرومانسي في فهم الدين حيث رده إلى الطبيعة البشرية.

ينتمي فكر شلايرماخر إلى تأويلية الحداثة مدافعا عن قيم الحداثة والأنوار التي تبحث عن قاعدة موضوعية أو مبدأ وضعي صارم أو قانون كوني شامل عبر تأسيس حقل المعرفة على أسس قواعد عقلية، فأسس بدوره انجازا تأويليا على قواعد نظرية [3]، أي أنه كان يهدف لتخلص من الأفرع الهرمينوطيقية والتأسيس لهرمين وطيقا عامة، وفي نفس الوقت انتقد هذه الصرامة في فهم الدين

انتقل من دوائر اللاهوت إلى فضاء التفكير الفلسفي ليكون فنا للفهم ويهدف هذا الانتقال للبحث عن تقنية للفهم، وليس البحث عن تأويل النصوص كما كان سائدا في القرون الوسطى[4]وهذا يعني إن شلايرماخر حاول توسيع مجال الهرمينوطيقا لتدرس جميع أنواع النصوص وحاول وضع طريقة للوصول لفهم موحدة لفهم هذه النصوص.

ثانيا: مصادر فكره

فريديريش شليغل(Friedrich Schlegel):

[1] -عادل مصطفى : مخل إلى فهم الفهم مدخل إلى الهرمين وطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، رؤية للنشر والتوزيع،ط1،ص99
[2] -روني إلي الفا، جورج نخل: موسوعة إعلام الفلسفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ص21
[3] -الناصر عبد الاوي: التواصل والحوار أخلاقيات النقاش في الفكر الفلسفي المعاصر، دار الفارابي،بيروت، ط1، 2013، ص52
[4] -ياسين باهي: التأويل وفلسفة التواصل، عالم الكتب الحديث، ط1، 2016، ص19

هو فيلسوف وناقد وكاتب ألماني(1772-1829)، ولد لعائلة بروتستانتية،درس التجارة، ثم انهمك منذ عام 1793، بدراسة الحقوق واللغات القديمة، ولكنه كان يقضي معظم وقته في تقصي نصوص مؤلفين مثل أفلاطون وشكسبير وغيرهم وهذا ما جعل عنده شغف للأدب، وكان شليغل محاطا خلال سنوات طوال بمجموعة أصدقاء منهم نوفاليس ولودفيغ وغيرهم، حيث أسس معهم جماعة تحمل اسم"حلقة جينا" التي أقامت الأساس النظري الحركة الرومانسية في ألمانيا[1]، ويرى شليغل أن الشعب الألماني هو الأمة المثالية، وله شخصية عظيمة جدا، باختصار كانت الرومانسية ثورة جمالية، حركة للتجديد الأخلاقي والثقافي، وبذلك عارضت عقلانية التنوير وشموليته وتجسده السياسي ممثلا في الثورة الفرنسية، وكانت هذه الأخيرة على الأرجح مصدر سياسي لفكرة القومية[2] وهذا يعني أن فكرة القومية التي تبناها الشعب الألماني، كانت نابعة من الحركة الرومانسية التي أعلت من قيمة الفرد .

ويصبح الوعي صديقا لفريديريش شليغل الذي يمارس تأثيرا كبيرا عليه، فهو يشرعنه في الفيلولوجيا(فقه اللغة) ويحثه على ترجمة أفلاطون، وهي مهمة سيتابعها طول حياته[3]

الرومانتكية عند شليغل هي شعر حسب تعبيره، حيث يقول: الرومانسية شعر شامل متعاقب، وجوهرها كامن في أنها قابلة للتشكل إلى الأبد لا نهاية لها ولاشيء ناجز فيها وحده الشعر حر عندها وقانونها الأوحد أن حرية الشاعر وإطلاقيته، لا تحتملان قانونا يعلوهما[4]. وهذا يعني أن شليغل يرى أن الشعر هو الأمر الأقرب إلى الرومانسية لأنه يتمتع بالحرية المطلقة للإنسان وهذا ما تصبوا إليه الرومانسية.

إمانويل كانط (Immanel Kant)

إمانويل كانط فيلسوف ألماني ولد عام(1724) في مدينة كينجسبرج في بروسيا الشرقية، حصل على شهادة عام (1755)، شغل عدة مناصب من بينها مدرس، عميد، مدير، عضو في مجلس الشيوخ...، ذو نزعة عقلية بحتة، توفي عام (1804)[5]

الهرمينوطيقا مفهومة كعلم شامل للفهم ناتجة عن ثلاثة حوادث حصلت في نهاية القرن الثامن عشر: تحول الفيلولوجيا إلى دراسة العلوم القديمة attertumswissenschaften، ولادة الوعي التاريخي وبدايات علم التاريخ، والثورة المنجزة من قبل كانط في نظام التفلسف[6].

يتبنى شلايرماخرتصورا للمعنى، ليس بشكل مستقل عن اللغة كما هو الشأن بالنسبة لأوغسطين في حديثه عن المراجع، أفلاطون في الأشكال، أو ذاتية الأفكار العقلية كما ذهب لذلك التجريبيون الإنجليز وغيرهم، يتوافق مع الاستعمال الدارج للفظ وضوابط ذلك التداول، فعلى سبيل المثال يقول في محاضرات التأويل إن "معنى المصطلح مستمد من وحدة مجال الكلمة ومن القواعد التي تحكم الافتراض المسبق لهذه الوحدة"، وشلايرماخر يحاول أن يوفق بين هيردر وأطروحة كانط، وهذا و

[1] -شاكر لعيبي:ما الفن الشعري، الشعرية مجلة فصلية تهتم بالشعر والشعريات العالمية والعربية، ع6، 2019، ص220.
[2] -أموت أوزكيريملي: نظرية القومية مقدمة نقدية، تر معين الإمام، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات،بيروت، ط1، 2013، ص120.
[3] - André Lucks Neschke: La naissance du paradigme herméneutique : de kant et schleiermacher à Delthey 2eme éditions , septentrion , 2008, France .p79
[4] -جورج لوكاتش: مراسلات، تر نافع معلا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،دط، 2010، ص167.
[5] -عبد القادر تومي:أعلام الفلسفة الغربية في العصر الحديث، كنوز الحكمة، الجزائر، ط1،2011، ص143.
[6] - André LucKs Neschke : La naissance du paradigme herméneutique : de kant et schleiermacher à Dilthey. 2eme éditions, septentrion, 2008, France. P85

من المرجح أن يبدو هذا التوفيق إشكاليا للوهلة الأولى بسبب إدراجه للصور الحسية في المعنى، والواقع أن هيردر يذهب للقول بأن المعنى يتولد عن استعمال اللفظ وهذا ما يعرضه للانتقادات من طرف الفلاسفة المعاصرين، لكن ما هو إشكالي حول أطروحة شلايرماخرهو تبنيه لطرح كانط وتمييزه الواضح بين المعاني ذات الطابع النفسي، وبين استعمالات الألفاظ [1]وهذا يعني أن شلايرماخر تأثر بكانط من ناحية اللغة

إن وظيفة الهرمينوطيقا تكمن، لدى شلايرماخر، في إعادة تركيب العملية الإبداعية التي دارت في خلد واضع النص، ولما كان الكثير مما هو غيرواع لدى المؤلف يصبح واعيا لدى المفسر، ينزع الأخير إلى فهم النص أفضل من كاتبه، وتظهر بصمة قول كانط بمحدودية العقل إلى فكر شلايرماخر الذي شدد على أن قاعدة التعامل مع النص يجب أن تكون سوء الفهم، لا الفهم فعلى عكس الرأي الذي هيمن إلى زمن شلايرماخر أن الفهم ينشأ من تلقاء ذاته في غالبية الأحيان، وأن المفسر الجيد هو من تدرب على معالجة الحالات القليلة نسبيا من عدم الفهم، والمنبعثة من غموض المعنى أو ازدواجية، فإن ما يتولد عادة، في اعتقاده شلايرماخر، هو سوء الفهم[2]

وهذا يعني أن كل من كانط وشلايرماخر ينطلقان من ظاهرة سوء الفهم في تأويل النصوص، فالإنسان حسب الفيلسوفان مهما بلغ من الفهم والمعرفة فإنه يبقى هناك شيء دائما يحتاج إلى البحث، لذلك فالمفسر مطالب بتجديد معارفه والتحقق منها.

لقد سمى"دلتاي"، "شلايرماخر"، "بكانط الثاني" ، فهو يريد من خلال عملية التأويل أن يحل المشاكل والتناقضات المتعلقة بالتفسير، لقد أجريت قبل "شلايرماخر" أبحاث في الفرق بين" التفسير القدسي"، و"التفسير الدنيوي"، وصنع كل واحد من حملة لواء تفسير العهدين لحنا وعزفه[3] .

خلاصة

[1] -فريدريك أرنست دانيال شلايرماخر: موسوعة ستانفورد للفلسفة، تر كوثر فاتح، حكمة، أنظر الموقع: .http://hekmah .org

[2] -مجموعة من المؤلفين: التأويل و الهرمينوطيقا دراسات في آليات القراءة والتفسير،مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، ط1، 2011، ص49-50.

[3] -مجموعة من المؤلفين: التأويل والهرمينوطيقا دراسات في آليات القراءة والتفسير، مركز الحضارة التنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2011، ص175.

لقد مر التأويل بمراحل عديدة ساهمت في تطوره، فقد كان في المرحلة الكلاسيكية يعنى بتفسير النصوص الدينية بغية إزالة الغموض عنها، ثم تطور بعد ذلك مع العديد من الفلاسفة مثل دلتاي، هوسرل، هيدغر، غادامير وبول ريكور توجهات أخرى للهرمين وطيقا ليتسع بذلك مجالها.

وقد ظهرت بعد ذلك النزعة الرومانسية بسبب العديد من العوامل الاجتماعية والفلسفية والأدبية، وقد جاءت هذه النزعة ضد المذهب الكلاسيكي، حيث أعلت من شأن الإنسان، ومن بين أهم رواد هذه النزعة نجد فريد يريك شلايرماخر الذي إهتم بالجانب الإنساني في تفسيره لمختلف النصوص، وقد استقى شلايرماخر أفكاره من مرجعيات فلسفية مختلفة أهمها فلسفة ايمانويل كانط، وفريديريش شليغل .

الفصل الثاني
تأثير النزعة الرومانسية
على هرمينوطيقاشلايرماخر

المبحث الأول : الصيغة التأويلية لشلايرماخر

أولا : التأويل اللغوي

ثانيا : التأويل التقني

ثالثا : الدائرة التأويلية

المبحث الثاني : تأثير النزعة الرومانسية على فلسفة شلايرماخر

أولا : تأثيرها على الدين

ثانيا : تأثيرها على الأخلاق

تمهيد

شهدت الهرمينوطيقا تحولات ضخمة خاصة مع الانتشار الواسع للنزعة الرومانسية، التي تأثر بها العديد من المفكرين والشعراء والفلاسفة في أوربا وألمانيا، ومن بينهم الفيلسوف فريدريك شلايرماخر الذي أخذ على عاتقه مهمة البحث عن قواعد عامة لعملية الفهم تكون بمثابة حصنا منيعا ضد سوء الفهم، كما يظهر تأثره بالحركة الرومانسية في دفاعه عن الدين من الإنتقادات التي وجهت له، وعليه نطرح التساؤلات الآتية: ما هي الصيغة التي اعتمدها شلايرماخر في عملية الفهم؟ وكيف أثرت النزعة الرومانسية على نظرته الدينية والأخلاقية؟.

المبحث الأول: الصيغة التأويلية عند فريديريك شلايرماخر :

أخذت الهرمينوطيقا مع شلايرماخر منحى جديد، حيث أصبحت تعنى بدراسة مختلف النصوص على عكس ما كان سائدا قبله واعتمد في تفسيره للنصوص على مراحل وخطوات شكلت الصيغة التأويلية عنده، وسوف نعرض أهمها في هذا المبحث.

أولا:التأويل اللغوي

يعود الفضل إلى شلايرماخر في نقل التأويل من دائرة الاستخدام اللاهوتي ليكون "علما" أو "فنا" لعملية الفهم وشروطها في تحليل النصوص وهكذا نشأت النظرية العامة لعلم التأويل من حيث هي مقاربة تأويلية تتقصى أثر الخطابات الأكثر اختلافا وتهدف إلى ترسيخ مفاهيم مثل اللغة والخطاب والذات المتكلمة والفهم[1].

لقد كان توجه شلايرماخر في بداية فلسفته التأويلية منصبا على الجانب اللغوي، واعتبره مهما لفهم أي نص.

حيث تقوم تأويلية شلايرماخر على أساس أن النص عبارة عن وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف إلى القارئ وبالتالي فهو يشير في جانبه اللغوي إلى اللغة بكاملها[2].

تنتمي اللحظة اللغوية إلى التأويل اللغوي وتعد إجراء سلبيا وهاما يفرض حدودا ويقدم البنية التي يعمل الفكر في إطارها، فهو يعمل على إيضاح النص في علاقته باللغة، وذلك من حيث بناء عباراته وتفاعل أجزائه ومن حيث علاقته بالأعمال الأخرى التي ينتمي إلى نفس الجنس الأدبي معها[3]، وهنا يقوم المؤلف بعدة عمليات لغوية من بينها تحليل ألفاظ النص وربط النص بالأعمال الأخرى التي ألفها نفس الكاتب، ولا ننسى كذلك مراعاة الزمان و المكان والظروف المحيطة بالنص.

وبمعنى أخر أن النص في جانب منه يعبر عن اللغة، وفي جانب أخر يعبر عن ذات المؤلف، أو بمعنى أخر أن النص هو نتاج أفكار الأفراد ونتاج اللغة، وقد أكد شلايرماخر على أهمية التأويل لأنه يعصم المرء من سوء الفهم، فهو يعتقد أن النص كلما تقدم في الزمن صار غامضا بالنسبة إلينا، وصرنا ومن ثم أقرب إلى سوء الفهم لا الفهم، وعليه لا بد من قيام "علم" أو "فن" يعصمنا من سوء الفهم ويجعلنا أقرب إلى الفهم[4].

[1] -الناصر عبد الاوي: التواصل والحوار، دار الفارابي، لبنان،ط1، 2013، ص52.
[2] -نصر حامد أبو زيد:اشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص20.
[3] -عادل مصطفى، فهم الفهم، المرجع سابق، ص104-105.
[4] -مها عيسى فتاح العبد الله: تأويل الأسطورة في كتابات أفلاطون، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2016، ص83.

واللغة عند شلايرماخر ليست منظومة مجردة كما هو الشأن عند فرناند دي سوسير الذي يميز بين اللغة والكلام بل هي موقع المعنى وموقع الفكر ذاته، الذي لا يكتمل، إن اللغة مفهوم إندماجي لكل ما يمكننا أن نفكر في إطارها لأنها كل تام يستند إلى نمط معين من التفكير[1]، وبالتالي شلايرماخر يعتبر اللغة والفكر شئ واحدا لان اللغة تعبر عن الفكر ولا يمكننا فهم ما يجول في فكر الكاتب بمعزل عن لغته.

فاللغة هي الوسط أو والوسيط الذي يتم فيه تفاهم الشركاء والتوافق بينهم على شئ، لأن اتفاق اللغة شرط للتفاهم في الحديث فكل حديث يشترط بالطبع أن يتكلم المتحدثون اللغة نفسها، وإن الكيان اللغوي للحديث هو العامل الحاسم في الفهم، واللغة والمقصودة هنا ليست هي بمعناها الطبيعي إنما هي الإهتمام المشترك بالموضوع ففي المحادثة الناجحة يقع كلا المتحاورين تحت تأثير حقيقة الموضوع ويرتبط بالتالي كلاهما بالآخر بمشاركة جديدة، وان التقدم إذن هو السمة المميزة للحوار[2].

واللغة التي تعتبر حقل تعبيري، فأولويتها في حقل التأويلية، باعتبار أن النص هو عبارة عن مجموعة من الظواهر التعبيرية التي بواسطتها نصل إلى الفهم ولأن الفهم برمته تأويل، والتأويل برمته يحدث في وسط اللغة التي تتيح للموضوع أن يفهم عن طريق كلمات مع أنها في الوقت نفسه لغة المؤول الخاصة، فالتأويل عند شلايرماخر هو فن إيجاد المعنى الدقيق لأي خطاب معين انطلاقا وبمساعدة اللغة باعتبارها عنصر ذو أهمية كبرى من بداية التأويل إلى نهايته، فنحن لا نعرف أي إنسان في فردانيته إلا من خلال أسلوبه الذي يتماشى ولغته[3].

وهذا يعني أن عملية تأويل أي نص لا يمكن أن تحدث بمعزل عن اللغة لذلك أكد شلايرماخر على ضرورة استخدام العلوم اللغوية مثل اللسانيات، علم الصرف والنحو وغيرها لفهم الكلمات ومعانيها داخل النص بهدف بلوغ فهم صحيح.

---

[1] - نبيهة قاره: الفلسفة والتأويل،مرجع سابق، ص45-46.

[2] -محمد خليف الحياني:التأويلية مقاربة وتطبيق، ص59، أنظرhttp://books .google.coom

[3] -عواد نجاة كريمة:التلقي وأشكال التأويل عند بول ريكور،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2، 2016/2015، ص53.

يستخدم التأويل اللغوي منهجا مقارنا ويتقدم من العام إلى خصوصيات النص، وتعتبر اللغة عنصر أساسيا من بداية التأويل إلى نهايته وحتى استشفاف فردانية المؤلف هو شئ متقوم باللغة ومستند إلى الأسلوب الخاص لهذا المؤلف ولن يتم أي فهم لنفسية الكاتب بمعزل عن لغته وأسلوبه[1] أي أننا نفهم المؤلف من خلال أسلوبه ولغته التي استخدمها في كتابة النص، كما يمكننا أيضا اكتشاف الظروف والأسباب التي دفعته لكتابة النص من خلال اللغة.

يقوم القارئ بعملية إعادة بناء تاريخية موضوعية للنص وفي عملية يطلق عليها شلايرماخر objectivehistorical وهي تعتمد بكيفية تصرف النص في كلية اللغة وتعتبر المعرفة المتضمنة في النص نتاجا للغة ولهذه البداية جانب آخر يطلق عليه شلايرماخرobjective divinatory Reconstruction إعادة البناء التنبؤي الموضوعي، وهي تحدد كيفية تطوير النص لنفسه للغة [2]، أي أن المؤول يجب عليه أن يعود إلى الفترة الزمنية التي ألف فيها النص ثم يقوم بعملية التنبؤ لكيفية تطور اللغة.

ثانيا:التأويل التقني

التأويل النفسي والفني الذي يسعى إلى فهم وإدراك فردانية وذهنية المؤلف، فكما أن للكتابة والتكلم مرحلتين : ما يجول في الذهن وما يبين في - قالب العبارات –كذلك الفهم والتفسير يجب أن ينطوي على مرحلتين فهم ما يصاغ في قوالب لغوية(التفسير النحوي) وفهم ما في ذهن ونية صاحب الكلام (التفسير النفسي)[3]، ويظهر من التأمل في كتابات شلايرماخر، إن ما نتبناه مما يسمى بالتفسير النفساني مر بمراحل تكاملية فان أول ما أثاره وأكد عليه هو أن فهم الجهة النفسانية لأي مكتوب أو مقول يحصل من خلال فهم الأسلوب الخاص لصحابه، وما دام أن استعداده لفهم الجهة النحوية للغة لا يقترن مع فهم فردانية المؤلف التي تحصل من خلال الإحاطة بأسلوبه، فلا ننال التفسير أو

[1] - عادل مصطفى: فهم الفهم، المرجع سابق، ص106.
[2] - نصر حامد أبو زيد:اشكاليات القراءة وآليات التأويل، مرجع سابق ص21-22.
[3] -عادل مصطفى:مدخل إلى فهم الفهم، مرجع السابق، ص73.

الفهم المطلوب، وقد أشار شلايرماخر سنة 1819 إلى أهمية أسلوب المؤلف بهذه العبارة" هدف التأويلية الفهم الكامل والتام لأسلوب المؤلف [1].

وهذا يعني أن شلايرماخر لم يكتفي بالتأويل اللغوي الذي يعتمد على اللغة والعلوم المتعلقة بها ورأى أن مهمة الهرمينوطيقا هي تجاوز اللغة والوقوف على العمليات الداخلية.

فقد قام بإدخال أساس ثان لعلم التأويل وهو" التفسير النفسي الذي يهتم أولا بالكشف عن الحالات النفسية والوجدانية لمؤلف النص، سواء كان هذا النص تراثيا أم فلسفيا أم أدبيا أم فنيا أم اجتماعيا، ومادامت هذه الحالة النفسية للمؤلف أصبحت جزءا أساسيا في فهم النص وتأويله، فان شلايرماخر يضيف أيضا الحالة النفسية للقارئ والتفاعل الذي يحصل بين القارئ والمؤول والنص[2]، ويعني هذا أن شلايرماخر يهدف إلى إيجاد طريقة أو منهج تأويلي يوصلنا إلى فهم صحيح مهما كان نوع النص

وبذلك أصبح للعلوم الإنسانية من علم النفس وعلم الاجتماع دور كبير في عملية تأويل النصوص بعد أن كانت عملية التأويل عملية لغوية دينية، وبذلك يكون شلايرماخر قد أدخل الهرمينوطيقا أفق جديد لتتحول عملية التأويل إلى عملية جدلية تفاعلية بعد أن كانت عملية أحادية الطرف، عملية تأخذ بالحسبان التجربة الداخلية التي كان يحياها المؤلف من جهة، والحالة النفسية والوجدانية للقارئ من جهة ثانية [3]، وبالتالي يقصد شلايرماخر هنا على أنه هناك علاقة وطيدة بين القارئ والمؤلف، فيجب على للأول أن يتجرد من كل ما حوله ويحاول أن يعيش نفس الحالة التي كان يعيشها كاتب النص .

ومن هنا يتعلق الأمر ببلوغ ذاتية ذالك الذي يتكلم، مادامت اللغة قد نسيت هنا يصبح الكلام العنصر الخادم للذاتية ويسمي هذا التأويل ايجابيا، لأنه يبلغ فعل

[1] - نفس المرجع، ص74.
[2] -دافيد جايسر،مقدمة في الهرمينوطيقا، تر وجيه قانصو، المرجع سابق ص120.
[3] -عبد الكريم شرفي:من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص27.

الفكر الذي ينتج الخطاب[1]، والجانب الذاتي له جانبان الأول هو إعادة البناء الذاتي التاريخي وهو يعتد بالنص باعتباره نتاجا للنفس، أما الجانب الثاني وهو الذاتي التنبؤي فهو يحدد كيف تؤثر عملية الكتابة في أفكار المؤلف الداخلية[2]

أي أن القارئ يجب عليه الرجوع إلى تاريخ النص والظروف التي كتب فيها، كما يتوجب عليه أن يتمتع بالجانب الحدسي و التنبؤي الذي يمكنه من فهم الأسباب التي دفعت الكاتب لتأليف هذا النص، كما يستطيع التعرف على العديد من الأمور التي كانت تخفى على المؤلف ، وبالتالي يساهم كل من الجانب التاريخي والجانب التنبؤي في فهم مؤلف النص فهما صحيحا.

وبناء على هذا فإن الفهم في تأويلية شلايرماخر لم يعد مرتبطا بالكلمات ومعانيها الموضوعية بل يتعدى ذلك إلى فردية المتكلم أو المؤلف الذي لا يمكن فهمه فهما حقيقا إلا بالرجوع إلى أصل فكره أي فهم الأفكار بإعتبارها منبثقة من الحياة وهنا تتخذ التأويلية منعطفا نفسيا، فالإنجاز العظيم لشلايرماخر يكمن في نظر غادامير في جعله التأويل النفسي إلى جانب التأويل القواعدي، ففهم أي نص يحتاج إلى أورغانون لغوي والى قدرة إلى النفاذ إلى الطبيعة البشرية وهي القدرة التي تسمح للمؤول بأن يضع نفسه في الإطار الكلي للمؤلف، ويحل محله بمعايشة لكل عملياته الذهنية، من أجل إدراك الأصل الباطني لعملية إنتاج عمل ما أي إعادة تكوين لفعل الإبداع وعليه يصبح الفهم إعادة إنتاج لعملية إنتاج أصلية أي المقاصد الأصلية للمؤلف بناء على حياته الفكرية وما أراد قوله والتعبير عنه في النص، فالتأويل النفسي يهدف إلى معرفة فردية المؤلف وعبقريته، ما يتطلب إندماجا وجدانيا معه وهذا الحلول ما يسميه شلايرماخر بالفعل التكهني[3]

وهذا يعني أن عملية إعادة معايشة العمليات الذهنية للمؤلف تهدف إلى إكتشاف إبداعه الذي أراد إيصاله من خلال النص ومن ثم يصبح التأويل النفسي ضروريا حسب شلايرماخر لمعرفة عبقرية مؤلف النص، وهذا الإنداج الوجداني يمكننا من فهم المعنى الحقيقي للنص بجميع تفاصيله.

[1] -بول ريكور: من النص إلى الفعل، مرجع سابق، ص62.
[2] -نصر حامد أبو زيد:إشكالية القراءة وآليات التأويل، مرجع السابق، ص22.
[3] محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص34.

والتأويل التقني يدرك الخطاب كفكر فردي وذاتي حيث أنه ينتج عن فن التفكير وفن الحديث اللذين يمثلان نشاطين ذهنيين أو نفسيين، ومن هنا عبارات"تأويل تقني" أو "تأويل سيكولوجي" الذي يتمثل أولا في الرجوع بالفكر إلى مركز المسار الإبداعي فالإنتقال من ذلك الشكل إلى الشكل الخارجي والداخلي للمؤلف، ثم البحث في آخر الأمر من خلال الطريقة الذهنية المميزة للمؤلف وتطوره عن وحدة مؤلفاته[1]، أي أن التأويل التقني أو السيكولوجي يدرس الخطاب الذي يعبر أساسا على ذاتية المؤلف ومنه يجب علينا الإهتمام بالجانب النفسي للمؤلف بنفس القدر الذي نهتم فيه بالجانب اللغوي للنص.

وهذا يعني أن التأويل التقني يصبو إلى الجانب التعبيري للخطاب وهذا الجانب لا ينحصر في الأنا المتكلم من حيث أنه يدافع عن منظور معين الأشياء وإدراك معين للغة بل يترجم كذلك عن أحوال نفسية وبالتالي فإن التأويل في هذا السياق لم يعد يهتم بالخطاب ومعناه بقدر ما يسعى إلى فهم المتكلم بما أن الخطاب يمثل جزاء من ذاتيته، إن المتكلم يعبر عن ذاته عبر أسلوبه أي عبر تركيب اللغة و إستعمالها[2].

فشلايرماخر يرى أن القارئ يستطيع فهم النص أكثر من مؤلفه، لأنه يستطيع معايشة الظروف التي عاشها المؤلف وفهم قصده والغرض الذي دفعه لكتابة هذا النص، وبالتالي إعادة تشكيل الخبرة المعرفية للمؤلف والتغلغل داخله، من أجل الكشف عن مكوناته وهنا يتمكن من فهم المؤلف بشكل أفضل منه.

ثالثا: الحلقة الهرمينوطيقية (hermeneneutical cirele)

يمكن تعريف الحلقة الهرمينوطيقية أو كما تسمى الدائرة التأويلية على أنها أداة منهجية تتناول الكل في علاقة بأجزائه، كما تتناول الأجزاء في علاقتها بهذا الكل، أي أننا كمؤولين لن نتمكن من فهم المعنى الذي يقصده المؤلف إلا في إطار معرفتنا بالعمل المراد تأويله بإعتباره كلا وهذا الكل لا يمكن فهمه إلا بعد فهم أجزائه الصغرى المكونة له[3]

[1] -نبيهة قاره: الفلسفة والتأويل، مرجع سابق ص47.
[2] - نبيهة قارة: الفلسفة والتأويل، نفس المرجع، ص49.
[3] -محمود خليف خضر الحياني: التأويلية مقاربة وتطبيق، مشروع قراءة في شعر فاضل العزاوي، ينظر http: /www.books.google.dz

من المعروف أن الحلقة الهرمينوطيقية في بداياتها كانت مع شلايرماخر من خلال تطابق التجانس بين المبدع والمتلقي ويقصد بالحلقة الهرمينوطيقية عنده الإنتقال من التخمين عند المعنى الكلي للعمل إلى تحليل أجزائه عبر علاقتها بالكل ويعقب ذلك العودة إلى تعديل فهم العمل كله، وتجسد الحلقة العضوية ضرورية، ومن خلال تفسير التأويل بهذه الطريقة تصبح الفجوة التاريخية التي تفصل النص من القارئ ينبغي التغلب عليها من خلال الحركة المتذبذبة بين إعادة البناء التاريخي من جهة والأفعال التكهنية للتقمص من جانب المتلقي من ناحية أخرى [1]

والجملة اللغوية تقدم مثالا واضحا على التفاعل المتبادل بين الأجزاء والكل وعلى أهمية الطرفين في عملية الفهم فنحن من معنى الجزء نفهم المعنى الكلي، وهنا نفس المثال ينطبق على حياة المرء، فمعنى الكل مستمد من معنى الجزء، ومن الممكن لحدث أو خبرة أن تغير حياتنا بحيث يصبح ما كان ذا معنى من قبل شيئا لا معنى له[2]

فالفهم في الجانب الموضوعي هو دائما في حالة من الحركة الدائرية تنطلق من النص لتعود إليه مرة أخرى، ففهم الكلمة الواحدة لا يتحقق إلا من خلال ردها إلى السياق اللغوي الذي ولدت فيه أي الجملة هذه الأخيرة لا يمكن أن يتحدد معناها إلا من خلال فهم لأجزائها ومفرداتها، هذا التفاعل بين الكل والجزء هو الذي يصنع الفهم في شكله الدائري بين قطبي الجدل الدائر بين العوامل الموضوعية من جهة والعوامل الذاتية من جهة أخرى، لتبقى كل قراءة نسبية وكل فهم دون إكمال دائما[3] .

ومنه فالدائرة التأويلية عالجت مسألة الفهم من حيث كونه يدور في حلقة تعيش فيها كليات موحدة من الأحداث والتفكيرات، تتعايش مع بعضها البعض وتكون عللا في حدوث أخرى تنبثق منها وتعود إليها مرة أخرى فاعلة متفاعلة، وكأن داخل دائرة هي في أصلها كروية أو كوكبية الشكل وكل ما يستجد في

[1] -ناظم عودة خضر:الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، 1997، ص76.
[2] -عادل مصطفى: فهم الفهم، المرجع السابق، ص146.
[3] -هانز جورج غادمير: اللغة كوسيط للتجربة التأويلية، ترجورج تامر، مجلة أوراق فلسفية،ع10، القاهرة، مركز النيل، 2004، ص26.

الحياة يتعلق دائما بما هو داخل الدائرة، كعنصر مكون لها وجزء من أجزائها، فكل شيء يتعاقب دوريا على حياتها، والفهم صيرورة وحركة دائمة ويكون منبع ومنتهى وجودها فإذا فسرنا الفهم في دورانه الحلقي ورأيناه ينتقل من الجزء ليبلغ الكل والعكس صحيح[1].

اذا فهم النص في تفاصيله وجزئياته يتطلب فهم النص أن عملية فهم النص ليست غاية سهلة، بل عملية معقدة مركبة، يبدأ المفسر فيها من أي نقطة شاء، لكن عليه أن يكون قابلا لأن يعدل فيها طبقا لما يسفر عنه دورانه في جزئيات النص وتفاصله وجوانبه المتعددة التي أشار إليها شلايرماخر[2].

وفي هذا الإطار وضع شلايرماخر جانبين أساسيين النفسي(التقمصي) والجانب اللغوي وان العلاقة بين الجانبين علاقة جدلية، ومن خلال الجدلية بين الجانب النفسي واللغوي شكل شلايرماخر الدائرة التأويلية التي تكون في حالة حركة من الانتقال بين الجزء والكل، والكل والجزء في دائرة لا نهائية، وان هذه الدائرة تعني أن عملية فهم النص ليست غاية سهلة بل عملية معقدة ومركبة[3].

وهذا يعني أن الجزء بقدر تحدده بالكل، فان الكل في الوقت نفسه يتحدد بالجزء وهكذا، كي نفهم أجزاء أية وحدة لغوية لا بد أن نتعامل مع هذه الأجزاء وعندنا حس مسبق بالمعنى الكلي ولكننا لا نستطيع معرفة المعنى الكلي إلا من خلال معرفة أجزائه ومثاله اليومي هو تعلم لغة أجنبية إذ نحاول معرفة معنى الجملة الأجنبية بواسطة معرفة معاني أجزاءها وكلماتها ومعاني الكلمات نستقيها بدورها من معنى الجملة التي تحتويها[4].

وبهذا يؤطر لمفهوم الدائرة الهرمينوطيقية التي تتحقق باعتبارها حلقة تنطلق من الفهم الشمولي والكلي لتصل إلى فهم الأجزاء واستيعابها[5]، وهذا يعني أن شلايرماخر هو أول من وضع مفهوم الدائرة التأويلية الذي يقوم على علاقة جدلية بين التأويل اللغوي والتأويل التقني، فالقارئ له الحرية في أن يبدأ بأي

[1] -براق نسيمة: الجابري بين ناقديه مقاربة ابستمولوجية في نقد جورج طرابشي أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة سطيف، قسم اللغة والأدب العربي، سنة2014/2013، ص31.

[2] -يوسف اسكندر: هرمينوطيقا الشعر العربي، نحو نظرية هيرمينوطيقية في الشعرية، دار الكتب العلمية، أنظر http://books.google.dz

[3] -محمود خليف خضير الحياني: التأويلية مقاربة وتطبيق، مشروع قراءة في شعر فاضل العزاوي، ص ص 43-44أنظر http://books.googl.dz

[4] -يوسف اسكندر: هرمينوطيقا الشعر العربي نحو نظرية هرمينوطيقية في الشعرية، دار الكتب العلمية، لبنان، دط، د سنة، ص26.

[5] -عصام لطفي صباح:التلقي والتأويل في شعر زهير بن أبي سلمى، مرجع سابق، ص56.

واحد منهما لأن كلاهما يوصل إلى الآخر، كما أن فهم الكل يتطلب فهم الأجزاء والعكس صحيح.

فمهمة التأويلية تظهر له كمهمة كلية باعتبار أن الفهم هو دائم في حركة دائرية، "دائرة التأويل"، ومن هنا كان مبدأ الدائرة الهرمينوطيقية في مشروع شلايرماخر والتي بنى على أساسها من خلال إعادة التركيب الأساس التأويلي في الفهم، باعتبار أننا نفهم الجملة بإحالتها إلى الجملة الكلية غير أننا لا يمكن أن نفهم هاته الجملة بدون فهم معنى الكلمات المفردة، وبالتالي فهاته العلاقة التبادلية هي التي أراد شلايرماخر أن يوضحنا لنا في الدائرة التأويلية حتى نصل بذلك إلى الفهم[1].

المبحث الثاني: تأثير النزعة الرومانسية على فلسفة شلايرماخر

أولا: تأثيرها على الدين

يؤرخ لاقتران البحوث الاهوتية والثقافية منذ ظهور شلايرماخر في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وبالتحديد مع بحثه حول الضرورة الثقافية للدين، يرى شلايرماخر أن الثقافة أمر سائد اذ ان تأثيرها يشمل جميع الظواهر الاجتماعية بما في ذلك الدين، حيث أن جميع الثقافات تتسم بالتجانس والتناسق والسيادة وأن التجربة الدينية للبشر ليست بمعزل عن حاضنتهم الثقافية، وأنهم يتعاطون مع التجربة الدينية ضمن العالم الذي يعيشون فيه، يستعين شلايرماخر باستراتيجيات في مشاريعه الاهوتية العدة لكنه يبقي على علاقته ب"الثقافة" ثابتة[2].

وهذا يعني أن شلايرماخر رأى بأن الثقافة عنصر مهم، كما أنها من تحدد نظرة الأفراد للدين لذلك حاول شلايرماخر أن يقدم تفسيرا صحيحا لدين يكون خاليا من التصورات السائدة في عصره.

[1] -عوادة نجاة كريمة: التلقي وأشكال التأويل عند بول ريكور،مرجع سابق، ص56.
[2] -حبيب الله بابائي:جدلية النظر والعمل في التأسيس لالهيات الحضارة، تر حسين صافي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، ط1، 2014، ص296.

كان الهم الأول لشلايرماخر التوفيق بين الدين والثقافة، فجوهر الدين هو فرق كل عقائد وكل أخلاقية[1]، لأن الدين حسب شلايرماخر هو مسألة شخصية متعلقة بالفرد ومدى شعوره اتجاهه.

ويذهب شلايرماخر إلى القول بأن قوام حقيقة الدين هو ذلك الشعور بالحاجة والتبعية المطلقة لقوة ماهرة، فلا ريب أن هذا الشعور ركن أصيل لا بد منه في تحقيق ماهية الدين من حيث هو، إذ يتفق كل من إميل بورنوف وارنست شلايرماخر والدكتور دراز أن حقيقة الدين تقوم على مبدأ الألوهية وكما رأينا أن الدين سواء في المعاجم العربية والإسلامية أو الفلسفية يطلق على العادة والشأن والجزاء، وعلى الطاعة والخضوع لقوة سامية[2]

انتقد شلايرماخر المثقفين في عصره الذين يحتقرون الدين، حيث وجه لهم خطابات يقدم من خلالها تفسيرا للدين ويقوم بدحض الانتقادات الموجهة له.

حيث يقول "اخذت على عاتقي أتحدث هنا عما يجتاح الدين من فهم مغلوط وتوجب علي أن أقدم شهادة على ما أذهب إليه، تبادر إلى ذهني سؤال: إلى أي صنف من الناس علي التوجه بالخطاب إن لم يكن لكم؟وأي الأمكنة يمكنها أن تمنح خطابي مستعين من طراز مختلف، وإنها القناعة الراسخة مني بكونكم الوحدين القادرين وبالتالي المستحقين لان تخاطبوا بما يثير فيكم حافز تمحيص المعاني والغايات التقليدية الإلهية المقدسة[3].

احتل الإنجيل موقعه عند العديد من الرومانطقيين إلى جانب النصوص الأدبية الأخرى، أي أصبح مجرد عنصر واحد من عناصر، أي أنه لم يعد هنالك هرمينوطيقا منفصلة أو مستقلا في قراءة الإنجيل، كما كان الأمر حتى كلادينوس، بل أصبح يقرأ الإنجيل ويعطي فرصته، كأي كتاب أخر، وأصبحت القراءة ولأول مرة في تاريخ الهرمينوطيقا، نشاطا موجها بعدم الاعتقاد

[1] -روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، مر جورج نخل، دار الكتب العلمية، ج2، لبنان، دط، ص22.
[2] -سومية حجاج: المشترك الديني بين الأديان السماوية والعالمية دراسة مقارنة، تحت اشراف مخلص السبتي، دار الكتب العلمية، لبنان، دط، ص34.
[3] -فريدريك شلايرماخر: عن الدين خطابات لمحتقريه من المثقفين، تر أسامة الشحماني، مر عبد الجبار الرفاعي، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2017، ص38.

وبالإلحاد بعدما كان موجها بتقليد الإيمان بالله والاهوت لقد فعل كل من عصر العقلانية ومتغيرات الخريطة السياسية في أوروبا فعلهما بنجاح[1].

شهد العصر الحديث مجموعة من التطورات السياسية والاجتماعية وكذلك الانتشار الواسع للمذهب العقلي مما أدى إلى فقدان قدسية النص الديني (الإنجيل)، وبالتالي أصبح الكتاب المقدس مثله مثل أي كتاب أخر يمكن قراءته وفهمه بشكل صحيح.

تعرض الكتاب المقدس لانتقادات شديدة في القرن الأخير وقد دفعت هذه الإنتقادات المتنوعة والمتزايدة تباعا لبعض النقاد أمثال شلايرماخر إلى القول" إن مركز ثقل الإيمان يتم نقله من الكتاب المقدس إلى باطن قلب المؤمن حتى يتمكن بحسب اعتقاده من تبرير جوهر الدين من الآفات" والرسالة الأساسية للكتاب المقدس تكمن في إحياء التجربة الدينية للإنسان لا إلقاء مجموعة من القضايا والأخبار غير قابلة للخطأ عن طريق الأنبياء[2].

يرى شلايرماخر أن ما يمنع الدين من النمو التطور هم المثقفون، حيث يقول" إن ما يعترض طريق الدين هم أولئك المتعلمون البراغماتيون، وهم من يمثل الثقل الأكبر في توازنات الحالة الراهنة لقوى العالم، وقد أتاح الوزن المترهل لهؤلاء أن يلعبوا دورا هزيلا و إلا يدخروا جهدا للوقوف بوجه الدين[3].

إن ما يزعمه ويؤكد الدين هو أن طابعه ومنطقه الخاص به، من دون سواه في صوغ الظاهرة الإنسانية لا يتأتى له إلا من إفصاحه عن نية خروجه الكامل أو تخلصه التام من التكهنات، ثم الممارسات العقلية الصرفة على حد سواء، وفي الوقت الذي يضع الدين نفسه في موضع تجاوز وتماس مباشر مع هذين الاتجاهين، وأعني الأخلاقي والميتافيزيقي يكون قد ملأ المساحة الأوسع داخل الوعي الاجتماعي وأشبع حاجة مهمة تدخل في صلب الطبيعة البشرية[4]، وهذا يعني أن شلايرماخر يعترض على النظرة العلمية والعقلية التي سادت لدى

[1] -دفيد جايسر: مقدمة في الهرمينوطيقا، مرجع سابق، ص115.
[2] -عباس قاسم مهدي الداقوقي: الاجتهاد القضائي مفهومه حلاته نطاقه دراسة مقارنة بالفقه الاسلامي معززة بالتطبيقات القضائية، دارالاستشارات القانونية، ط1، 2015،
[3] - فريدريك شلايرماخر: عن الدين خطابات لمحتقريه من المثقفين، نفس المصدر السابق، ص127.
[4] -نفس المصدر، ص70.

المثقفين في فهم الدين لأنها تحصره داخل نمط معين وتقيد بقوانين ثابتة، وهذا ما يمنعه من التطور.

لذلك يجب السعي لفهم الدين، بوصفه الوحيد القادر على أن يقدم لكم فهما متكاملا للوجود من دون تشريحه أو تقطيعه أوصاله، ولكنكم تتعاملون مع الدين بجفاء لمجرد إرضاء العقل المجرد، فيما تضنون أنكم أعلى على الرغم من درايتكم بأن هذا بحد ذاته محض تمويه وافتراض زائف[1]، وبالتالي يحاول شلايرماخر هنا أن يستميل الطبقة المثقفة لفهم الدين بشكل أوضح والتخلي عن إرضاء العقل، لأن الدين وحده من يقدم نظرة شمولية للوجود ككل.

وبالتالي شلايرماخر يرى أن الدين هو رباط وجداني مؤنس وضروري ليس لطبيعة وجود الإنسان وحسب، وإنما لوعيه بوجوده، ولا بد لنا من أن نعترف هنا، أنه من غير الطبيعي ولا المقبول، أن نشوه الدين بحبسه داخل مسوغات معرفية لا تفضى إليه لأنها محض نظرات ضيقة تحجر عليه[2]، وهذا يعني أن شلايرماخر يربط الدين بالمشاعر الإنسانية وهو ما يجعل الإنسان يشعر بحقيقة وجوده في هذا العالم، ومن هنا يتحرر الدين من كل قيوده.

ثانيا: تأثير النزعة الرومانسية على الأخلاق

يعتبر كثيرا من الدارسين للفلسفة أن مؤسس الهرمينوطيقا الفلسفة الحديثة هو شلايرماخر، الذي اهتم بمناهج تأويل النصوص والعلوم المرتبطة بها، مثل الفيلولوجيا والنحو والترجمة والبلاغة والجدل والنقد، حيث يرى في هذا " طريقة بموجبها الهرمينوطيقا والنقد يذهبان معا، وكيف أن كلاهما يرجعان الى النحو، ولكن من جهتها الهرمينوطيقا والنحو يرجعان أيضا الى البلاغة والجدل، الأمر الذي يجعل الهرمينوطيقا جزءا من كل مزدوج، وهو شيء تتقاسمه مع كل التقنيات[3]، وبالتالي حاول شلايرماخر التأسيس لهرمينوطيقا عامة، كما حاول توسيع مجالها من خلال دراسة الفعل الإنساني في تجاربه الأخلاقية والفنية وغيرها.

[1] - فريدريك شلايرماخر: عن الدين خطابات لمحتقريه من المثقفين، نفس المصدر السابق، ص130.
[2] -نفس المصدر، ص151.
[3] - F.D.E. scheiermacher : herméneutique , éditions du cerf/pul,1987,p :191

من المهم، إذن، تتبع خاصة موقف شلايرماخر من الأخلاق، حيث يرفض إختزال الفعل الأخلاقي الفردي في أخلاق الواجب الكلي الكانطية، ويفترض علما لأخلاق يؤسس لثلاثة أشكال منها هي: الفضيلة، الواجب، الخير الأسمى، وأي مفهوم من هذه المفاهيم يمكنه وصف الواقع الأخلاقي في كليته، الأمر الذي يطرح مسألة الفرق بين المفاهيم عند شلايرماخر، وليفسر ذلك، فإنه يرى أن " الفضيلة خاصة لا تشترط بالضرورة بعض الأفعال الخاصة المطابقة للواجب أو لبعض الخيرات الجزئية " وأيضا يقول: " في كل فعل مطابق للواجب توجد كل فضائل من يتصرف"[1]وهذا يعني أن الفضائل والواجبات والخيرات الجزئية لا يشترط الواحد منها الآخر بالضرورة، فيمكن للفرد أن يكون أمينا مرة دون أن يعتبر الأمانة واجبا عليه أو خيرا يقصد إليه، ولكن في المقابل، فإن الواجبات والخيرات والفضائل الكلية قد يستدعي بعضها البعض الآخر، وقد يتضمن الواحد منها الآخر، حيث يمكن لواجب الصدق أن يستدعي الشجاعة وحب الحق، وينظر شلايرماخر لأشكال الاخلاق الثلاثة التي تشكل علم الأخلاق نظرة جدلية، حيث كل منها " ضمن أفق خاص، يعبر عن نفسه بمفاهيم ثنائية متعارضة: الفضلية والرذيلة، الفعل المطابق للواجب والفعل المضاد للواجب، الخير والشر[2] إن الإنسان الفرد وهو يقوم بالفعل الأخلاقي عمليا عليه أن يميز بين طرف ونقيضه، بين معجم علم الأخلاق ومعجم الحياة الأخلاقية اليومية التي كثيرا ما تتعرض للتشويه لأسباب إجتماعية وسياسية، حيث يشير شلايرماخر الى " الخلط الذي يهيمن في المعجم اليومي الذي نستخدمه من أجل التعبير على أحكامنا، وهو يقدر أن هذه الفوضى تعكس الواقع التجريبي لحياة أخلاقية مشوهة عن طريق الشروط السيسو سياسية لعصره[3]، أي أن شلايرماخر حاول التأسيس للأخلاق من خلال ثلاث عناصر أساسية على عكس مل ذهب إليه كانط في الواجب الأخلاقي، فالفضيلة لا تشترط بالضرورة وجود الواجب بينما كل فعل مطابق للواجب فهو يحمل بالضرورة الفضيلة و بالتالي تتكون علاقة جدلية بين العناصر المكونة للأخلاق.

[1] -friedrich schleiermacher : Conférences Sur léthique, la politique et lesthétique,(1814-1833), trad : Jean-Mars-Tétaz, éditions : labor et fides, 2011, p :68.

[2] -Fridrich Schleiermacher : Conférences sur léthique, p :67.

[3]

ومن ثم فالأخلاق مدعوة لمعالجة هذا الواقع وتوجيه الفعل وجهة سليمة، ما يجعل الفعل فاضلا هو أن يخضع للأشكال الأربعة الأساسية للفضيلة وهي: الحكمة، الإتزان، المواضبة، والحب ، هذا يدخل ضمن إرادة الذات في توضيح دلاليات الألفاظ التي تفيد في تحديد معايير الفعل الأخلاقي، أما أخلاق الواجب عند شلايرماخر، فهي تصطدم بأخلاق الواجب الكانطية، لأنها في نظرة خيالية، لا ترتبط بالواقع العملي الأخلاقي، ولذا نجده يؤسس مفهوم الواجب على واقع الأفعال الإنسانية وغاياتها ومقاصدها، وأكد الحياة الفردية لإنسان الفاعل في قيام بالواجب ، والأسباب والدوافع التي تدفعه إلى الفعل، كما أشار إلى وضعيته، فهو " إذا كان استخدام تصور الواجب يجب أن يوفر نظاما من أنماط الفعل، فإن تصور الواجب يجب أن يكون حول الفعل الفردي[1] وبالتالي يميز شلايرماخر بين الأخلاق في المعجم وهي الأصلية، والأخلاق الحياتية التي تحكمها الظروف وتتغير باستمرار حسب هدف الفرد وغايته، لذل الأخلاق هي من توجه أفعال الفرد في الواقع توجيها صحيحا، وانتقد شلايرماخر كانط في أخلاق الواجب فهو يرى أنها مثالية بعيدة عن الواقع لذلك نجد شلايرماخر يؤسس لمفهوم الواجب انطلاقا من الأفعال الإنسانية وغاياتها، فالأخلاق يجب أن ترتبط بالواقع الإنساني ومن هنا تطرح إشكالية فردانية الفعل خاصة عندما يتعلق الواجب بالفعل المركب الذي ينطوي عل مقاصد متعددة ، وبالتالي على إمكانية قيام الفاعل بمداولات متعددة من أجل إختيار الأفعال الجزئية، وبالتالي فشلايرماخر يرى أن للفعل مقصد وأن تعددت أفعاله الجزئية، غير أن قرار القيام بواجب الفعل لا يتوقف على مقصده العام فقط بل كذلك يرتبط بمعايير أخرى.

فالصيغ التي وضعها شلايرماخر تحمل طابع شروط أو قوانين على غرار القوانين الكانطية، ولكنها ليست قوانين كلية مثالية، وعلى عكس كانط يؤكد شلايرماخر أن الصياغة العامة لأمر بالواجب لا تساعد على الاستخدام المستقل لتصور الواجب، لذلك ربط القوانين الأخلاقية بالفرد ووضعه، حيث يقول: " افعل في كل مرة ضمن ما هو خير أخلاقيا ما يستطيع أن يكون مسموحا أفضل بالنسبة لك في لحظة معطاة" وقوله: ط تصرف في كل مرة بكل قوتك الأخلاقية

[1] -Ibid, p :69.

بطريقة لإنتاج المساهمة الممكنة الأكثر حجما لحل المهمة الأخلاقية الكبرى بالاشتراك مع الجميع"[1]، فالقاعدة الأولى تؤكد الفردية والوضع المعطى للقيام بالفعل الأخلاقي، بينما الثانية تدلنا على أن الواجب الأخلاقي يأتي استجابة للتوتر بين الفاعل والجماعة التي ينتمي إليها، إن هذا يدل على علاقة الأخلاق بالواقع العملي والحياة الفردية، حيث مقر الفضيلة هي الحياة الفردية، أين تكون الفضيلة فكرة ذهنية في عقل فاعلها، لكنها تتجلى بعد ذلك في أفعاله، " في الحالة الأولى ، نقول أنها تنتج رسما، أي مقصد تطبيقيا ناتجا عن المداولة، في الحالة الثانية فإنها تنجز فعلا بفضله تعتقد أنها تستطيع تحقيق رسمها[2]، وهنا يؤكد شلايرماخر على شمولية الأخلاق وفي نفس الوقت ربطها بالفعل الإنساني من إكتمال مشروعه التأويلي.

خلاصة

لقد قدم شلايرماخر إسهاما هاما في الهرمينوطيقا العامة يمثل نقطة تحول في تاريخها إذ لم يعد ينظر إلى الهرمينوطيقا على أنها مادة تخصصية بل أصبحت فن الفهم لأي قول، فقد دشن شلايرماخر مرحلة جديدة تسعى إلى إرساء تأويلية عامة أو كلية الهدف منها ضبط قواعد الفهم العامة وذلك من خلال اعتماده على المحددين هما المحدد اللغوي والتقني اللذان يعصمان القارئ من سوء الفهم، وهذا ما قاد شلايرماخر إلى إكتشاف الدائرة التأويلية التي هي علاقة تبادلية بين الجزء والكل، والكل والجزء، وقد تميزت هرمينوطيقا شلايرماخر بطابع

[1] :- Ibid, p,p 112/113.
[2] - Ibid, p : 72.

الرومانسي وذلك من خلال محاولته لفهم المؤلف أكثر من نفسه، وأيضا من خلال تفسيره للدين بالعودة إلى الذات الإنسانية، ويرى أن الدين ظاهرة شعورية، وكذلك رأى أن الأخلاق.

الفصل الثالث
مزايا ومأخذ فلسفة التأويل عند لشلايرماخر

المبحث الأول: إمتدادات المشروع التأويلي لشلايرماخر

أولا : تأثيره على دلتاي

ثانيا :تأثيره على هيرش

المبحث الثاني : أهم الانتقادات التي تعرضت لها الفلسفة التأولية لـ لشلايرماخر

أولا : نقد هانز جورج غادامير

ثانيا : نقد بول ريكور

تمهيد

بالرغم من النقلة الهامة التي أحدثتها هرمينوطيقا شلايرماخر من خلال دمجها بين الطابع التأويلي الذي يهتم بالغة والطابع الرومانسي الذي يهتم بفهم المؤلف، وهذه العلاقة الجدلية بين الطرفين شكلت الدائرة التأويلية، فقد كان الهدف الوحيد لشلايرماخر هو وضع قواعد وقوانين عامة تحكم عملية الفهم، وهذا ما جعل من فلسفته التأويلية مصدر إلهام و إنتقاد للفلاسفة الذين جاءوا بعده مثل دلتاي، بول ريكور، غادامير

وعليه نطرح التساؤلات الآتية: ما هي أبرز الإمتدادات الفكرية لهرمينوطيقا شلايرماخر؟ وما هي أهم الإنتقادات التي وجهت له؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات سوف نعرض هذا الفصل بطريقة جدلية.

المبحث الأول: تأثير المشروع التأويلي

لقد **لشلايرماخر** كان للمشروع التأويلي لشلايرماخر امتدادات وتأثيرات واسعة على الفلاسفة الذين جاءوا بعده، وذلك لما قدمه من إسهامات هامة في الهرمينوطيقا

أولا: تأثيره على دلتاي

لقد كان لتأويلية شلايرماخر الرومانسية أثرها البالغ في المدرسة التاريخية، التي استنفذت تطبيقات منهجه وحاولت تطبيقه بوعي وامتياز في مشروعها الهام حول تأسيس علم موضوعي للتاريخ، ذلك أن

الفكر الجمالي سيجد بعد شلايرماخر تجلياته الأكثر عرضية في المدرسة التاريخية[1]، ومن بين رواد المدرسة التاريخية الذين تأثروا بشلايرماخر نجد دلتاي حيث يعتبر تلميذ شلايرماخر وأحد أهم المتأثرين به وبالحركة الرومانسية، حيث عالج مشكلة المنهج في العلوم الإنسانية من خلال فصله بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية حيث إعتبر الأولى تعتمد على الفهم أما الثانية فتعتمد على التفسير، وقد اقتدى دلتاي في فهم النص بأستاذه شلايرماخر.

حيث قال عنه أنه أشع نورا أضاء كل صور الحياة كما أن دلتاي بتأكيده عل تتبع حياة النفس وكل ما يحيط بها من تجارب في الحياة لم يبتعد عن سلفه شلايرماخر لا سيما فيما يتعلق بإجراء التأويل التقني/النفسي والتأويل النحوي، فهو في محاولة فهم تجربة المبدع في الحياة دخل من باب لغة الكتابة بوصفها رؤية خاصة وأسلوبا متفردا جسد من خلالها المبدع رؤيته للوجود الذي يحيا فيه إذ تعد العلامات كمؤشرات تحمل المعاني يمكن إدراكها بفعل التأويل[2].

الهرمينوطيقا حسب دلتاي لا تعني إعادة بناء تجربة النص، ولا بإعادة إنتاج التجربة الحياة بمفهومها الأم المشترك، بل تهدف إلى إعادة إنتاج التجربة الحية كما عاشها الأخر وعانى من وقع تأثيرها، فعل الفهم يكون بتحقيق التطابق مع باطن المؤلف والتوافق معه وإعادة إنتاج العملية المبدعة التي ولدت الأثر الإبداعي، أي إعادة الإنتاج، وتصبح بذلك الغاية القصوى للهرمينوطيقا هي فهم المؤلف أكثر مما فهم نفسه[3].

وهذا يعني أن دلتاي يطمح إلى إعادة معايشة اللحظة التي كتب فيها المؤلف النص من خلال التقمص شخصيته وبالتالي يفهم المؤلف أكثر مما فهم نفسه وهذا دليل على تأثره الشديد بالحركة الرومانسية التي تدعوا إلى العودة للفرد في تفسير النصوص.

يقول دلتاي حتى يتمكن المؤول من الوصول إلى الفهم الصحيح الأدبية، عليه أن يعيد بناء التجربة المعيشة للمؤلف بالطريقة الأدبية سواء تلك التي تنتمي إلى الماضي، أم تلك التي تنتمي إلى الحاضر عن طريق معايشة تجربة الحياة فيها يؤدي إلى فهم أفضل للماضي والحاضر معا[4]، وهذه النظرة هي نفسها التي أقر بها شلايرماخر من خلال وضعه لمحددين أساسين لعملية التأويل وهو ما المحدد اللغوي الذي يهتم بالغة النص وهي تمثل اللحظة الراهنة، أما المحدد الثاني وهو التأويل التقني/ النفسي القائم على العودة للماضي من أجل إعادة معايشة ذهنية المؤلف، وهذا ما يؤدي إلى فهم الماضي والحاضر معا.

النص حسب دلتاي تعبير عن مقاصد المؤلف وتجربته الحية وإيمانه بإمكانية إعادة بناء هذه المقاصد وهذه التجربة كما هي، أو كما كانت بالفعل، فالأعمال الأدبية هي عبارة عن تعبيرات أدبية تتخذ من اللغة أداة لها، وهذه التعبيرات أعظم قدرة من التعبيرات الفنية الأخرى على الإفصاح عن الحياة الداخلية للإنسان لذلك ستكون هناك إمكانية العيش أو الحياة مرة أخرى في الموضوع أو في الشخص

[1] -هشام معافة: هرمينوطيقا الفن عند غادامير، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/2008، 29.

[2] -عبد الغاني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة، مرجع سابق، ص191.

[3] -عبد الكريم شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007، ص33.

[4] -نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراءة وآليات التأويل، مرجع سابق، ص28.

من خلال الأعمال الأدبية التي تعبر عن تجربة الحياة الداخلية، أو عن تجربة الحياة الحية والمعيشة وليس عن تجربة الحياة فقط[1]، تتميز الأعمال الأدبية بتعبيراتها القوية لذلك فهي تمثل الأقرب لإعادة معايشتها من جديد، وهذا ما جعل دلتاي يعتبرها معبرة عن فلسفة الحياة.

في هذه الحالة تتحول التجربة الذاتية للأخر في حالة موضوعية يمكن فهمها، ولكن ليس باعتبارها تجربة الحياة المشتركة وإنما تجربة الحياة كما عاشها المؤلف، مما يعني تخلي المؤول عن تجربته ليعيش تجربة الأخر[2]، أي أن دلتاي وشلايرماخر يعتبران المؤول قادر على فهم المؤلف بشكل أفضل منه، وذلك من خلال فهم صحيح لظروف وبيبوغرافيا الكاتب.

ان التجربة الذاتية هي أساس المعرفة، وهي الشرط الذي لا يمكننا تجاوزه لأي معرفة وطالما أن الناس يشتركون في أشياء عدة، فإن التجربة تصبح هي الأساس الصالح لإدراك الموضوعي القائم داخل الذات، وهذا الموضوعي يحمل تشابهات من ملامح التجربة الأصلية عند الذات المدركة[3]، أي أننا الفهم نحتاج للتجربة الذاتية لكي نفهم الموضوع داخل الذات.

والفهم ليس منهجا، إنما هو لب المنهج الكيفي وهو عملية لا غنى عنها في العلوم الإنسانية، بل ويطبع هذه العلوم بطابعه، ولقد عنيت المدرسة الألمانية بالفهم كأداة معرفية متميزة تختلف عن العمليات المعرفية المستخدمة في العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية على حد سواء، ذلك أن الفهم يحاول معرفة المشاعر والنوايا والمقاصد والرغبات والأفكار عن طريق النفاذ إليها خلال الكلمات أو التعبيرات أو السياقات ومن ثم يمكن القول أن الفهم هو العملية المعرفية المتميزة التي تستهدف إستعاب المحتويات العقلية الكامنة في كل تعبير[4].

وهذا يعني أن معظم فلاسفة التأويل اهتموا بالفهم واعتبروه عنصر أساسيا في عملية التأويل أما بالنسبة لدلتاي فإعتبر الفهم منهجا للعلوم الروح، لأنها معقدة بإعتبار الإنسان لا نسهو الدارس والمدروس وبالتالي نحتاج لفهم الطبيعة البشرية من عواطف ومشاعر، أما التفسير فهو منهج دقيق يخص العلوم الطبيعية.

وأول عملية صادرة عن الفهم هي التخمين لأن التخمين يصدر عنه في حالة عدم فهم المقصد المراد، كفهم مقصد الكاتب في النص مثلا فيكون بعيدا عن متناول أيدينا وينطبق التخمين بما يسميه شلايرماخر بالتكهن[5].

ومن خلال التكهن(Divination) ينفذ المفسر الجيد إلى قلب عمل الفنان أو الكاتب ليرى أشياء لم يعرفها المؤلف عن نفسه وما ينطبق على العقل الإنساني ينطبق على كافة ميادين الحياة، القطع الموسيقية الأفعال والكلام والسلوك والكتابة، وبذلك يكون الفهم عند دلتاي عملية لمعرفة ما هو داخلي

[1] -عبد الكريم شرفي:من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة، مرجع سابق، ص33.
[2] -عادل مصطفى: فهم الفهم، مرجع سابق، ص97.
[3] -ناصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، مرجع سابق، ص25.
[4] -يوسف زيدان: قضايا العلوم الإنسانية إشكالية المنهج، سلسلة الفلسفة والعلم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ص22.
[5] -بول ريكور: نظرية الخطاب وفائض المعنى، تج سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط2، 2006، ص122.

انطلاقا من الإشارات المعطاة من الخارج عبر المعاني ولذلك فالتأويل يفرض بالضرورة معنى، وهو عند دلتاي فن فهم تعبيرات الحياة باعتبارها تعبيرات ثابتة على الدوام[1].

وهذا يعني أن دلتاي يتفق مع شلايرماخر في أن المؤول يستطيع النفاذ داخل النص ويتمكن من فهم مؤلفه، حيث يعتبر دلتاي معاني الحياة مهمة في عملية التأويل.

كما اهتم دلتاي بالحلقة الهرمينوطيقية التي جاء بها أستاذه شلايرماخر، حيث يرى أن الدائرة الهرمينوطيقية تعبر عن المعنى ثابت من خلال تفاعل الأجزاء والكل، وهذا التفاعل هو نفسه يوجد في حياة كل شخص.

فالدائرة التأويلية عند دلتاي لم تعد مقتصرة على الدراسات اللغوية والأدبية وحتى التاريخية، بقدر ما استطاع أن يوسعها لتشمل بنفس المفهوم تجربة الحياة، فالعلاقة نفسها توجد بين الكل والأجزاء في حياة المرء[2]

أي أن دلتاي قام بتوسيع مجال الدائرة التأويلية لشمل تجربة الحياة، لأن أي موضوع له علاقة دائرية بين أجزائه والكل .

تحدث عملية الفهم انطلاقا من الدائرة التأويلية، وعملية التأويل تتوقف على الموقف الذي يكون فيه المفسر نفسه وبذلك المعنى ليس شيئا ثابتا وإدراك هذا المعنى لا يتحقق إلا من خلال المشاركة في الخبرة المعيشة كتعبير عن الحياة لا تتعامل معها كموضوع مستقل عن ذواتنا[3].

وهذا يعني العملية الأساسية التي تتوقف كل معرفتنا لذوات الأخر هي إسقاط حيلتنا الباطنية الخاصة بناء على الموضوعات حولنا، بمعنى لكي نفهم أي شخص يجب أن نشعر بانعكاس تجربته فينا وإعادة بنائها من جديد، أي أن الفهم يعتمد على الطبيعة البشرية.

ثانيا: تأثيره على إريك هيرش

وتتزايد عند هيرش نغمة الدفاع عن المؤلف في مواجهة إهماله لحساب التجربة الحية عند دلتاي، أو تجربة الوجود عند هيدغر، أو لحساب النص في النقد المعاصر ويرى أن إهمال المؤلف نابع من تصور إن معنى العمل الأدبي يختلف من ناقد لناقد ومن عصر لعصر، بل يختلف عن المؤلف نفسه من مرحلة لأخرى، ولكي يتغلب علة هذه المعضلة يقيم بين تفرقة بين المعنى والمغزى، ويرى إن مغزى النص الأدبي قد يختلف، ولكن معناه ثابت، ويرى إن هناك غايتين منفصلتين، بمجالين مختلفين، مجال النقد الأدبي

[1] -نادر العيساوي: مبادئ فلسفة الفهم وأسس العلوم الإنسانية عن دلتاي، منتدى أفاق الفلسفة والسيسيولوجيا والأنثروبولوجيا، يونيو، 2009.
[2] -هانز جورج غادامير: فلسفة التأويل الأصول المبادئ الأهداف، تج محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2006، ص120.
[3] -عادل مصطفى: فهم الفهم، مرجع سابق، ص104.

وغايته الوصول إلى النص الأدبي بالنسبة لعصر من العصور، أما نظرية التفسير فهدفها الوصول إلى المعنى الثابت للنص الأدبي، وهذا يعني أن هيرش تأثر بما تدعوا إليه النزعة الرومانسية وخاصة شلايرماخر في ضرورة فهم المؤلف لأنه جزء أساسي في العملية التأويلية.

فإن المخاطب يتوهم أن فهم الأول يختلف عن الفهم الثاني للنص، وهو توهم لا حقيقة له، لأن هناك فهما واحدا يشترك فيه الجميع لنص معين، لكن توضيحه يختلف من شخص لآخر، لأن الاستعانة تتم بغير مفردات النص وعباراته، ولو كان بوسع المخاطب أن يستوعب فهم المفسرين، بصيغة أخرى غير اللغة بمعناها الخاص، لما وجد أي اختلاف في ما بينهم، إذا في النظرية القصدية التي يؤمن بها هيرش تعد نية المؤلف هي المرتكز الذي يستند عليه للحكم على التعابير التي لا تنسجم مع النص[1]، وهذا يعني أن هيرش يعتبر أن للنص فهما واحدا، لكن الاختلاف يكمن في فهم المفسر للنص، وفهم قصد المؤلف هو الشيء الوحيد الذي يفسر التعبيرات الغير مفهومة في النص.

لأن القصد حسب هيرش، ليس أمرا خارجيا عن الأثر، وإنما هو في ذاته، فهو يرى أن للنص الواحد معنى واحد يمكن لمفسره أن يتوصل إليه في نطاق النص وما يفهمه منه، عبر دراسة نفسية معرفية لها جذورها لها جذورها في الهرمينوطيقا الرومانسية[2]، فقد ساهمت النزعة الرومانسية في تثبيت قيمة المؤلف في عملية التأويل، وهذا ما جعل هيرش يؤكد على ضرورة فهم النص والمؤلف معا.

يدعي هيرش أن قصد المؤلف يجب أن يصبح معيارا تقاس بواسطته صحة أي تأويل، ويشبه قصد المؤلف بالحذاء البلوري، ومعنى النص ب" سندريلا" ويقول: وإننا نستطيع أن نتعرف إلى سندريلا لو كان الحذاء بحوزتنا، وفي ذلك لا نستطيع تحديد من هي "سندريلا" من بين الفتيات الكثيرات اللواتي يدعين هذا اللقب، كذلك الأمر بالنسبة للنص الأدبي، حيث يفترض أن نجعل قصد المؤلف الضابطة في صحة الكثير من المعاني المستفادة من النص حتى نستطيع الوصول إلى المعنى اللفظي له، وإلا سنغرق، لو أهملنا هذا المعيار، في مستنقع سبق وأن غرق فيه غادامير وأمثاله[3]، يذهب هيرش أبعد من ما دعت إليه الرومانسية حيث إعتبر أساس صحة التأويل هو فهم المؤلف.

لذلك حاول هيرش الدفاع عن القصدية بوصفها أساسا لمفهوم الصدق أو الصحة في التأويل منتقدا هيرش الصفة السائدة للتأويل التي تؤكد دلالة النص للقارئ وليست تلك التي تؤكد معنى النص الذي يجب أن يفهمه القارئ ويطلق عليها مقاربة نظرية الاستقلال

[1] -مجموعة من المؤلفين: دراسات في تفسير القرآني أبحاث في مناهج التفسير، مرجع سابق، ص 64.
[2] - نفس المرجع، ص 63
[3] - مجموعة من المؤلفين :دراسات في تفسير القرآني أبحاث في مناهج التفسير، نفس المرجع، ص ص 71-72.

الدلالي التي تؤكد عدم الارتباط المعنى الذي يقصده المؤلف بالتأويل، وعدم أهمية امتلاك محك الصدق للتأويل وكفاية المحمولات الجمالية داخل النقد، وتنتمي كذلك الى انطولوجيا مميزة يكون فيها المعنى مستقلا عن قصد المؤلف، وقد قدمت هذه النظرية دفاعها عن قصدية النص من خلال التأكيد والبرهان على تغيير معنى النص بالنسبة للمتلقي ولمؤلف النص[1].

ميز هيرش بين المعنى المقصود من المؤلف ودلالات المعنى عند القارئ والمنتقد، ومع أن أفكاره عن المعرفة الموضوعية كانت محط نقد من الكثيرين إلا أن كتبه الهرمينوطيقية ظلت تخدم بع المدافعين عن موضوعية النقد الأدبي والبحث التاريخي[2]

ويرى كل من بيتي وهيرش أن المنهج الفيولوجي هو المنهج الأمثل لتفسير النصوص، ويعد الجدل بين كل من بيتي وجادامير هو الصراع القائم في الفكر المعاصر في مجال الهرمينوطيقا والذي يشدها إلى اتجاهين: اتجاه بيتي وهيرش في التركيز على النص والمؤلف، واتجاه غادامير في البدء من موقف المفسر الراهن باعتبار هذا الموقف(الوجودي) هو المؤسس المعرفي لأي فهم[3]، فالهرمينوطيقا في العصر المعاصر أخذت توجها جديدا مع بيتي وهيرش في الاعتماد على المؤلف والنص، بإعتبار أن فهم أي نص يستدعي بالضرورة .

المبحث الثاني: أهم الانتقادات التي تعرضت لها الفلسفة التأويلية لشلايرماخر

أولا: نقد هانز جورج غادامير

بالرغم من الخطوات الكبرى التي خطها شلايرماخر بالتأويل لكي يصبح علما مستقلا إلا أنه لم يسلم من الانتقادات من طرف الفلاسفة وخاصة غادامير الذي انتقده في النزعة السيكولوجية التي سيطرت على فلسفته التأويلية.

[1] -محمود خليف خضير الحياني، التأويلية مقاربة وتطبيق، مرجع سابق، ص 84.
[2] -قيس ماضي فرو: المعرفة التاريخية في الغرب مقاربات فلسفية وعلمية وأدبية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، http// :books.google.dz.
[3] -نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراء وآليات التأويل، ص49.

يقول غادامير:"وجد الكتابة للقراءة ووجدت القطعة الموسيقية للسماع، فالعلة الغائية هي شرط ضروري للوجود الفعلي الأثر الفني الذي يتمثله الأفراد، بالتالي يتجاوز غادامير بذلك الفهم القصدي لتصبح قراءة الآثار الفنية و النصوص لا تنصب على رؤى ومقاصد المؤلف وإنما أيضا تقيم الأثر من خلال قدرته المعيارية ودوافعه التي تحفز الأفراد على إبداع أنماط حياتية جديدة، وبالتالي تنتقل غادامير من المنهج إلى الحقيقة لأن علاقة القارئ بالأثر الفني أو الأدبي أو الفلسفي هي علاقة بالحقيقة كانفتاح وانكشاف [1]، وبالتالي غادامير يركز على ضرورة الرجوع إلى التراث لكي نفهم النص بشكل صحيح.

ويرد غادامير على شلايرماخر الذي كان يعرف الهرمينوطيقا بإعتبارها فنا لتجنب سوء الفهم" أليس كل سوء فهم في الحقيقة مسبوقا بشيء من " اتفاق" يكون هو حامله، ومن هنا يرى غادامير أن القارئ يحمل أحكام مسبقة على النص وهي أحكام متفق عليها[2]

إذن يتطلب فهم التراث أفقا تاريخيا، ولكن من غير الصحيح أننا نحظى بهذا الأفق غبر نقل أنفسنا إلى داخل حالة تأويلية ففي الحقيقة يتوجب أن يكون لدينا دائما أفق كما نستطيع نقل أنفسنا إلى حالة ما، ونقل أنفسنا لا يتمثل في تقمص فرد لشخص آخر عاطفيا ولا في إخضاع شخص آخر لمعايير، وإنما يتضمن بالأحرى الارتقاء إلى شمولية أعلى لا تتجاوز طبيعتنا الجزئية فقط، بل طبيعة الآخر الجزئية أيضا، إذ ينم مفهوم الأفق على نفسه[3]، وبالتالي ما يعيبه غادامير على شلايرماخر هو التأويل السيكولوجي الذي يدعوا إلى تقمص لآخر فهو يرى أي غادامير يعتبر أن مهمة التأويل هي الارتقاء به إلى العمومية.

وحسب غادامير لم يفلح فن التأويل الرومانطيقي، كما رسم معالمة شلايرماخر ودلتاي في فحص بنية الفهم، ووظيفة التأويلية في ميدان العلوم العلوم الإنسانية والممارسات الإجتماعية، فهو يميز بين نوعيين من الفهم[4]، وبالتالي المروع التأويلي عند شلايرماخر لم يقنع غادامير لا من ناحية اعتماده على النزعة النفسية أو اعتماده على التفريق بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، فهو يذهب إلى أبعد من ذلك في علاقة النص بالثقافة، ومحاولة فهم النص دون الاهتمام بقصد المؤلف.

يركز غادامير بشكل أساسي على معضلة الفهم بإعتبارها معضلة وجودية يبدأ غادامير في كتابه (الحقيقة والمنهج) بطرح تاريخي نقدي للهرمينوطيقا من شلايرماخر وحتى

[1] - هايل علي المذابي: المصعد في نقد المسرح، دروب للنشر والتوزيع، .http// :books.google.dz
[2] - بول ريكور: من النص الى الفعل، مرجع سابق، ص276.
[3] - هانزو جورج غادامير: الحقيقة والمنهج، مرجع سابق ، ص415.
[4] -حفناوي بعلي: الترجمة النقدية التأويلية ترجمة الكتب المقدسة، دروب للنشر والتوزيع، أنظر .http://books.google.dz

عصره مرورا بدلتاي، ويرى أن تركيز شلايرماخر كان على وضع القواعد والقوانين التي تعصمنا من سوء الفهم الذي نكون أقرب في الوقوع فيه، فيما يرى غادامير ليست هي ما يجب أن نفعل أو نتجنب في عملية الفهم بل بالأحرى الإهتمام بما يحدث بالفعل في هذه العملية بصرف النظر عما ننوي أو نقصد[1]، فحسب غادامير يجب علينا الاهتمام بما يحدث بالفعل داخل النص من أجل فهمه من غير أن نحاول وضع قواعد عامة للتأويل لأن هذه المهمة شبه مستحيلة، وبالتالي الأساس هو التركيز على النص فقط.

حاول غادامير أن لا يقع في وضع الرومانسية الشاق، ويعلن غادامير أن هذه الأخيرة لم تقم إلا بقلب أطروحات عصر الأنوار، دون النجاح في تغيير وجهة الإشكالية نفسها وتغيير حقل الجدال، هكذا اجتهدت الفلسفة الرومانسية في رد الإعتبار للحكم المسبق الذي هو مقولة من عصر الأنوار، وما يزال متعلقا بفلسفة نقدية ما، أي فلسفة الحكم، هكذا قادت الرومانسية صراعها في حقل محدد من طرف الخصم، يعني دور التقليد والسلطة في التأويل[2]، وهذا يعني أن غادامير حاول الإبتعاد عن الرومانسية باعتبارها قادت صراعا لم نعد في حاجة إليه في عملية التأويل.

يذهب غادامير إلى كل ما ذكره شلايرماخر،بشأن العوامل الذاتية غير مرض تماما، فعندما تحاول تفسير نص ما فإننا لا نحل محل الإنشاء الفكري للمؤلف، وإنما نحاول الكشف عن سلامة ما يقوله ومصداقيته، وإن أردنا أن نفهمه، فإننا نذهب إلى حد تدعيم حججه وبراهينه، وهذا ما يحدث أيضا في المحادثة، فنحن نتحرك دائما في أبعاد المعنى المفهوم في ذاته، دون الرجوع إلى نفسية وذاتية المؤلف، فمهمة التأويل هي إنارة الفهم، لا الكشف عن تواصل خفي وعجيب بين الأرواح، إن الفهم هو مشاركة معنى مشترك[3]، إن الهدف من التأويل حسب غادامير هو الكشف عن صدق ما يقوله المؤلف للوصول لفهم صحيح، وليس الهدف منها أي التأويل تحقيق التواصل والفهم بين المؤول والمؤلف.

إلا أن شلايرماخر لا يقف عند هذا الحد، ففي حديثة عن جسر مسافة زمنية طويلة، التي يطلق عليها اسم " التماهي بالقارئ الأصلي، أي أن يضع الفرد نفسه في مستوى المؤلف، لا يقف التماهي عند حد المساواة، بل يذهب إلى أكثر من ذلك، حيث يقرر بأن الهدف هو فهم المؤلف أفضل مما فهم هو نفسه[4]، إن ما دعى إليه شلايرماخر من خلال

[1] -نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراءة وآليات التأويل، ص37.
[2] -بول ريكور: من النص الى الفعل، مرجع سابق، ص75.
[3] -غادمير: فلسفة التأويل، مرجع سابق، ص120.
[4] -غادامير: الحقيقة والمنهج، مرجع سابق، ص ص 279-280.

التأويل القني في فهم المؤلف أكثر مما فهم هو نفسه، هو ما جعله محط انتقادات من طرف فلاسفة التأويل خاصة غادامير الذي ركز على فهم النص وحقيقة ما يقوله والإبتعاد عن فهم المؤلف، لأنه لا يشكل موضوع التأويل.

كما أن الوصف الذي يقدمه شلايرماخر للجانب الموضوعي للدائرة التأويلية، لا يقترب في نظر غادامير من جوهر الموضوع، لأن الهدف من كل محاولة للوصول إلى فهم هو الاتفاق حول موضوع معين، ولذلك كانت مهمة الهرمينوطيقا تصحيح الاتفاق الذي أصابه الاضطراب والنقص، وقد كانت ل" فريدريك آست" وهو أحد الأسلاف المباشرين لشلايرماخر-رؤى دقيقة حول نشاط التأويل، فالنشاط التأويلي لا يزال يعني بالمضمون، ودوره يتمثل في إقامة اتفاق وانسجام بين العصر القديم والمسيحية، فالأمر لا يتعلق هنا بوساطة بين سلطة التراث وبين العقل الطبيعي، وإنما التوصل إلى اتفاق هادف بين تراثيين، ولهذا يواصل آست المهمة التي تبنتها التأويلية السابقة التي تهدف إلى التوصل اتفاق من جهة المضمون[1]، وهذا يعني أن شلايرماخر يرى أن مهمة التأويل تهدف إلى التوصل للإتفاق في المضمون

يرى غادامير، أن ما يجب أن يفهم بشكل أفضل ليس الفردية وما تفكر فيه، وإنما حقيقة ما يقال فلا يجب أن نفهم النص بوصفه مجرد تعبير عن الحياة، وإنما ينبغي أن نحمل ادعاءه للحقيقة على محمل الجد، إلا أن هذه الصيغة أخذت معنى آخر مع شلايرماخر، لأن ما يجب أن يفهم فهما أفضل ليس الحقيقة ذاتها، وإنما عملية الإنتاج اللاواعي للمعنى[2]، وبالتالي يركز شلايرماخر على عملية إعادة معايشة لذهنية الكاتب، أي إعادة إنتاج لاواعية للمعاني وهذا ما تجاوزه غادامير بتركيزه على الحقائق التي يقدمها النص لكي نصل للفهم الصحيح.

فالبعد النفسي الذي أضفاه على شلايرماخر على التأويلية يحجب بعدها التاريخي، والمشكلة بالنسبة إليه ليست مشكلة غموض تاريخي، وإنما غموض الأنت، إن تصوره للفهم على أنه إعادة إنتاج لمقاصد المؤلف الأصلية، ومن ثم القول بأن الفهم اللاحق أسمى من الإنتاج الأصلي، لأن المؤول يفهم المؤلف أكثر مما يفهم نفسه، فإن الفهم الأسمى لا يرجع الى كونه يستند الى الإدراك الواعي الذي يجعل المؤول في مستوى المؤلف، وإنما يرجع الى الاختلاف الكامن بينهما، الذي خلفته المسافة التاريخية، فالمعنى الحقيقي لأي نص لا يعتمد على حيثيات المؤلف، وإنما يتحدد أيضا وفقا لحالة المؤول التاريخية، فكل

[1] -هشام معافة: هرمينوطيقا الفن عند غادامير، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/2008، ص27.

[2] -غادامير: الحقيقة والمنهج، ص ص 405-406.

عصر يفهم النص الذي نقل إليه بأسلوبه الخاص، بإعتبار أن النص ينتمي إلى التراث الذي يثير انتباه العصر له، ومن خلاله يسعى هذا العصر إلى فهم نفسه، وهذا ما يجعل الفهم صيرورة إنتاج مستمرة لا مجرد إعادة إنتاج، ولهذا يدعوا غادامير إلى ضرورة استبدال عبارة "فهم أفضل" بعبارة "أننا نفهم بطريقة مختلفة"، فنحن مثلا لا ننظر إلى أفلاطون بنفس النظرة التي رآه بها كل من ديكارت و كانط، بل إننا ننظر إليه بشكل مختلف تماما بسببهما[1]

يعطي غادامير مفهوما خاصا للفهم، فهم الذات هو تطبيق للحقيقة المكتشفة في النص، والذات والحقيقة المنتجة في اللحظة الراهنة، الفهم عندئذ غادامير هو التوصل إلى تطبيق واستعمال المعنى على وضعيتنا الراهنة، وإيجاد أجوبة لمسائلنا وحلول لمشاكلنا، فالفهم هو إدراك المعطيات النفسية والفردية والتاريخية التي ينطوي عليها التصريح بقضية معينة مقابل فهم ماهية هذا التصريح أو الفعل أو السلوك في حد ذاته[2].

وهذا يعني أن غادامير اعتبر التأويل النفسي يخفي الحقيقة التاريخية بتركيزه على المؤلف، و دعى في مقابل ذلك إلى فهم النص بإعتباره ينتمي إلى التراث ونحن نفهم العصر من خلال هذا التراث.

إن تجربة شلايرماخر، وعلى الرغم من كونها فتحت المجال أمام تطور تأويلية عامة، إلا أن تغلغل النزعة النفسية في داخلها جعلها تهمل الموضوع وتنظر إلى النص على أنه إنتاج حر، وتتجاهل مضمونه المعرفي، وتركز كل جهودها على إعادة بناء العملية الفكرية المؤلف، فالتأويلية تهتم بفهم كل شئ تعبر عنه اللغة، وهكذا أصبحت اللغة حقلا تعبيريا، و أوليتها تمكن في أن المؤول ينظر إلى النصوص بوصفها ظواهر تعبيرية خالصة بمعزل عن إمكانية احتوائها على حقيقة ما، فمهمة الهرمينوطيقا إذن، هي تجاوز اللغة من أجل الوقوف على العملية الداخلية، أي التمثل المباشر لعملية ذهنية داخلية، وهنا يرى غادامير بأن شلايرماخر قد ضل الطريق عندما تخلى عن موقفه الخصب المتمركز حول اللغة لصالح نظرة ميتافيزيقيا زائفة، فلم تعد للغة تلك المكانة التي احتلتها في مراحل تفكيره الأولى، حيث ذهب إلى القول بأن كل شئ مفترض في التأويلية ليس سوى لغة، بمعنى أن فهم المرء لنفسه وللعالم هو شئ تقدمه اللغة[3].

وبالتالي اتفق معظم الفلاسفة ومن بينهم غادامير على أن توجه شلايرماخر في بداياته الذي كان منصبا على اللغة بإعتبارها الوسيط بين المؤول والمؤلف كان صحيحا لأن اللغة هي التي تعبر عن هذا العالم، لكن تركيزه على نفسية المؤلف هو ما جعله يضيع طريقه.

[1] -هشام معافة: هرمينوطيقا الفن عند غادامير، مرجع سابق ص29.
[2] -حساين دواجي غالي: الهرمينوطيقا وإتيقا الخطاب، مرجع سابق، 53.
[3] -عادل مصطفى: فهم الفهم، مرجع سابق، ص ص 73-74.

إن غادامير ليؤكد أن أحكامنا المسبقة لها أهميتها الخاصة في عملية التأويل كما يؤكد على علاقة التراث بالنصوص المراد تأويلها.

ثانيا: نقد بول ريكور

يعتبر بول ريكور من أهم الفلاسفة المعاصرين، حيث أعطى الهرمينوطيقا منعطفا جديدا مختلفا عما كانت عليه، فقد انتقد الفلاسفة السابقين له وخاصة شلايرماخر، حيث اعتبر نظرته السيكولوجية التي تدعوا لفهم المؤلف أكثر من نفسه.

فحصر المعنى في عقل مؤلفه لا يعني أن القارئ يلجأ الى حياة المؤلف، ليعرف ما يريد قوله، بل يبحث عن المؤلف وتجليات وعيه في ثنايا النص، ولكن لمعرفة هذا العقل ينبغي ألا نرجع الى أي شئ نعرفه عن المؤلف، بل نرجع فقط الى تلك الأوجه من وعيه التي تتجلى في العمل الأدبي ذاته وتستخلص البنى العميقة لهذا الوعي من خلال الثيمات والنماذج التخييلية المتكررة في النص، وبالتقاطنا هذه البنى نلتقط الطريقة التي "يحيا" بها الكاتب عالمه، والعلاقة الفينومينولوجية التي ترتبط بينه هو نفسه كذات والعالم

كموضوع[1]، وهذا يعني أن بول ريكور على عكس شلايرماخر، ركز على معرفة بعض الجوانب التي تخص المؤلف ولها علاقة بالنص فقط.

يقول بول ريكور:" قيدنا شلايرماخر بتأويل نفسي كان، في البداية، على قدم المساواة مع التأويل النحوي، يستند التأويل النحوي على خصائص الخطاب في ثقافة ما، ويتوجه التأويل النفسي الذي مازال يسميه تقنيا الى فرادتها، بل والى عبقرية إرسالية الكاتب، لكن إذا كان للتأويلين حق متساو فلا يمكن تطبيقهما في نفس الوقت[2]، وبالتالي ينتقد بول ريكور التأويل النفسي، كما لا يمكن تطبيق التأويل النحوي والتقني في نفس الوقت.

ربط شلايرماخر الهرمينوطيقا بمسألة سوء الفهم أو الفهم الرديء، ورأى أن مهمة المؤول هي ان يفهم الكاتب كما فهم هذا الكاتب نفسه، أو بشكل أفضل إن أمكن، وعارض ريكور شلايرماخرفي هذه النقطة، معتبرا أن مهمة المؤول لا تتمثل في فهم المؤلف وإنما في فهم نصه[3]، وبالتالي أعطى بول ريكور منحى جديد للهرمينوطيقا مختلفا عن السابق فالهدف من التأويل هو فهم النص لا فهم الكاتب.

لكن النص الأدبي حتى وان كان ينسب الى مؤلف معين فانه يتجاوزه ويتجاوز وعيه وعالمه، وليشكل عالما خاصا به، ويعرض نفسه على القارئ ليكتشف له بعضا من مضمره، ما يجعل القارئ فاعلا حيث يعيد إنتاج النص من جديد عن طريق وضع نص آخر فوق النص الأصل، كما يتيح له أن يموضع ذاته بإزاء الموضوع/النص، ولا ينحصر على الكاتب فقط كذات[4]، وهنا يقوم القارئ بهمة المقارنة بين النصوص التي ألفها الكاتب لكي يتمكن من الفهم أكثر، حيث يعيد انتاج النص بشكل جديد، ويبتعد عن ذاتية الكاتب.

ان مسألة القارئ والمؤلف ستحيل ريكور الى مسألة النص حيث أن التأويلية الذي بدأ هو التعرف على معنى النص الموضوعي الخفي فيما وراء النص، بل هو طلب يوجه الى القارئ، وبالتالي التأويل هو نوع من الخضوع لامر الصادر من النص، وبالتالي فإن التأويل عند ريكور تمت صياغته بمصطلحات جديدة فهي لا تتبع من العلاقة المتبادلة بين ذاتية المؤلف، وذاتية القارئ، بقدر ما تتبع من الارتباط بين الخطابين " خطاب النص" discours du texte، وخطاب التأويل discours de linterprétation، وهذا الارتباط يعني أن ما يجب تأويله في نص ما هو ما يقوله وما يتحدث عنه أي نوع العالم الذي يفتحه[5]، وهذا يعني أن بول ريكور ذهب إلى عكس ما تقول به الرومانسية في أن

[1] -جويدة علاوة: هرمينوطيقا النص عند بول ريكور من خلال كتابه" من النص الى الفعل" مقاربة تأويلية،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2011/2010، ص48.

[2] -بول ريكور: من النص الى الفعل، مرجع سابق، ص61.

[3] -حسام الدين درويش: إشكالية المنهج في هرمينوطيقا بول ريكور وعلاقتها بالعلوم الإنسانية والإجتماعية، نحو تأسيس هرمينوطيقا للحوار، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أنظر .http://books.google.dz

[4] -جويدة علاوة: هرمينوطيقا النص عند بول ريكور من خلال كتابه" من النص الى الفعل"، مرجع سابق، ص49.

[5] - حساين دواجي غالي: الهرمينوطيقا وإتيقا الخطاب، مرجع سابق، ص77.

الفهم يضم ذاتيتين هما القارئ والكاتب، و إعتبر قصد المؤلف شيء لا يمكن الوصول إليه من خلال عملية نقد معمقة.

فمن خلال التعريف الذي يقدمه" ريكور"، بأن النص هو خطاب وقد يكون مكتوبا، ففي هذه الحالة فهو نص من النصوص، وبالتالي وجب فهمه كنص لما يحمله من معاني وتساؤلات مختلفة، وبذلك فالتأويل هو محاولة للإجابة على سؤال الذي يطرحه علينا النص، وفهم النص هو فهم للسؤال، وهذا لا يتحقق إلا بفهم أفق المعنى، أو أفق التساؤل الذي يمكن من خلاله تحديد المعنى، والنص هو جواب عن سؤال يطرحه موضوع النص وليس المؤول[1]، وبالتالي لكي نفهم النص يجب أن نحاول فهم المعنى لأن النص للإجابة عن السؤال الذي يطرحه النص وليس المؤلف

إن العلاقة بين الكاتب والقارئ في نظر ريكور من طبيعة المغايرة، فالقارئ يكون غائبا لحظة الكتابة، والكاتب يكون غائبا لحظة القراءة، فالكتابة إجراء تبديل عن الكلام باعتبارها تعبيرا أو تسجيلا مباشرا لذلك القصد، أو البنية لهذا الكلام ومن ثم تصبح الكتابة مصدر نص[2]

لقد اعتمد بول ريكور على تأويل الرموز، حيث اعتبر تأويل الرموز فقط بل لقد وجد في النصوص الأنموذج الكامل للتأويل، فهو يؤكد على لا نفسانية الفهم بحيث لا يحصر بين القارئ والكاتب، لأنه قصد نفسي لا يمكن الكشف عنه بل بين خطاب النص وخطاب التأويل، فالفهم يرتبط بالمعنى الموضوعي للنص والعالم الذي يكشفه، فالمهم هنا بالنسبة للمؤول هو تحديد المعنى الموضوعي للنص"فلا ذاتية المؤلف ولا ذاتية القارئ هي النقطة المرجعية الحقيقية، وإنما النقطة المرجعية هي المعنى التاريخي نفسه بالنسبة لنا في الزمن الحاضر[3]، أي أننا نسعى من خلال النص إلى فهم المعنى التاريخي، وإسقاطه على الحاضر، وبالتالي ما يهمنا هو الفهم الموضوعي للنص.

يعطي ريكور طابعا جديدا للفهم والتفسير، حيث يقول" نفسر لكي نفهم، ونفهم لكي نفسر، بهذه الطريقة يمنح ريكور المصطلحين صفة التكامل، ليس التفسير سابقا على الفهم، بل يحاذيه ويساره إذ كلما تعمق التفسير في تبادل الموضوعات من خلال المقاربة والمقارنة بينهما ثم محاولة تحليلها كلما ازداد الإدراك بهذه الموضوعات[4]، وبالتالي ربط بول ريكور الفهم بالتفسير واعتبرهما متكاملان وضروريان في عملية التأويل، فمن خلال الفهم نصل إلى التفسير، ومن التفسير نصل للفهم، وهذه الجدلية تشكل الدائرة التأويلية.

[1] -عادل مصطفى: فهم الفهم، مرجع سابق، ص238.
[2] -واضح عبد الحميد:إشكالية التأويل وأنموذج النص في الفلسفة الغربية المعاصرة قراءة في هرمينوطيقا "بول ريكور"، مرجع سابق، ص125.
[3] -واضح عبد الحميد: إشكالية التأويل وأنموذج النص في الفلسفة الغربية المعاصرة قراءة في هرمينوطيقا" بول ريكور"، كلية العلوم الإجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2016/2015، ص124.
[4] -مليكة دحمانية: الفكر التأويلي عند بول ريكور بين البنيوية والهرمينوطيقا، الخطاب، مج14، ع1، جامعة بومرداس، الجزائر، ص83.

خـــاتـــمة

شهدت الهرمونطيقا تطورا كبيرا في تاريخها، خاصة على يد شلايرماخر حيث أصبحت مبحثا فلسفيا مستقلا، ثم مرت بعده بمحطات منها السؤال حول إمكانية التوصل إلى منهج دقيق للعلوم الإنسانية مع دلتاي ، وصولا إلى المنعرج الهرمينوطيقي مع بول ريكور.

وقد استقى شلايرماخر أفكاره لبناء فلسفته التأويلية من عدة مصادر أهمها الحركة الرومانسية التي كانت سائدة في ذلك العصر والتي سيطرت على اغلب المجالات ، فهي تدعوا إلى الإعلاء من قيمة الذات الإنسانية من خلال تحرير عواطفها ومشاعرها، وقد ساهمت العديد من العوامل في نشأة النزعة الرومانسية من بينها، العوامل سياسية مثل الثورة الفرنسية ،والعوامل الاجتماعية مثل تغير الطبقات وكذلك ساهمت الكتابات الأدبية وفلسفية في تغيير الوضع في أوروبا، وتميزت هذه النزعة بالذاتية والعودة إلى الطبيعة ومن بين أبرز الرومانسيين الذين تأثر بهم شلايرماخر هو شليغل، كما تأثر أيضا بفلسفة كانط الذي لفت الأنظار إلى في البحوث الفلسفية إلى نفس المعرفة والنظرة الإبستمولوجية للمعارف البشرية بدلا من الرؤية الأنطولوجية الكلاسيكية فقد أثار أسئلة حول فهم النص، وهذا ما جعل شلايرماخر يستلهم منه بحوثه الهرمينوطيقية.

نلاحظ من خلال ما سبق أن شلايرماخر تأثر بالعديد من المصادر الفكرية التي كانت بمثابة حجر الأساس لفلسفته التأويلية التي تسعى إلى الوصول إلى تجسيد هرمينوطيقا عامة، الهدف منها بلوغ فهم صحيح.

يعتبر شلايرماخر من بين أهم رواد النزعة الرومانسية التي كان لها امتدادات واسعة وتأثير كبير على الفلاسفة اللاحقين، فالحركة الرومانسية تهتم بالمؤلف كذات وترى أنه لا يمكن فهم أي نص بمعزل عن كاتبه.

يرى شلايرماخر أن الهرمينوطيقا تتكون من محددين أساسين و هوما التأويل اللغوي الذي يهتم بالبنية اللغوية من تركيب وتحليل وغيرها، حيث يعتبر اللغة هي الوسيط بين المؤلف والقارئ، لذلك يجب فهمها، كما يستعين بعدة علوم مساعدة مثل اللسانيات وفقه اللغة وغيرها، أما المحدد الثاني فهو التأويل التقني أو السيكولوجي والذي يهتم بالبيوغرافيا المتعلقة بالكاتب وكذلك يهتم بالظروف المحيطة به، من أجل إعادة معايشة الخبرة الذهنية المؤلف،حيث يرى شلايرماخر أن المؤول عندما يضع نفسه على قدم المساواة مع المؤلف فإنه يستطيع أن يفهم العمل بشكل أفضل من مؤلفه، وهذه النظرة النفسية سيطرت على فكر شلايرماخر المتأخر.

من خلال العلاقة الجدلية بين التأويل اللغوي والتأويل التقني اكتشف شلايرماخر الدائرة التأويلية، فالفهم في جانبه الموضوعي هو دائما في حالة من الحركة الدائرية تنطلق من النص لتعود إليه مرة أخرى، ففهم الكلمة الواحدة لا يتحقق إلا من خلال ردها الى السياق اللغوي الذي ولدت فيه، أي لا يمكن فهمها إلا من خلال فهم الأجزاء، وهذا التفاعل بين الكل والجزء هو الذي يصنع الفهم في شكله

الدائري بين التأويل اللغوي والتأويل التقني النفسي، وبالتالي فالحلقة الهرمينوطيقية هي منهجية نتمكن من خلالها معرفة المؤلف وكذلك العمل المراد تأويله.

فهدف شلايرماخر الأساسي يتمثل في وضع قوانين ومعايير لعملية الفهم، أي أن تصبح هرمينوطيقا عامة تجمع كل الأفرع الهرمينوطيقية.

لقد أثرت النزعة الرومانسية بشكل واضح في هرمينوطيقا شلايرماخر خاصة عندما تبنى فكرة التأويل التقني، وكذلك من خلال دفاعه عن الدين ضد المثقفين، حيث أكد على ضرورة العودة إلى الذات باعتبارها هي من تشعر بضرورة الانتماء إلى الدين، و دعى المثقفين في عصره للإبتعاد عن سلطة العقل والميتافيزيقا في تفسير الدين والعودة إلى الطبيعة البشرية التي يتحرر من خلالها الدين، واعتبره جوهر الحياة وغذاؤها الكبير.

لقد شكلت هرمينوطيقا شلايرماخر مصدرا الهام للفلاسفة اللاحقين له من أبرزهم دلتاي الذي تأثر بشلايرماخر بتأكيده على تتبع حياة النفس وكل ما يحيط بها من تجارب في الحياة، ويرى أن الكتابة هي التي تجسد لنا عمل المؤلف وكذلك رؤيته للحياة، فالعلامات اللغوية تحمل معاني يمكن إدراكها من خلال التأويل، كما تعتبر نظرية التقمص الوجداني أكبر مثال على تأثره بشلايرماخر، حيث يؤكد أن فعل الفهم يكون بتحقيق التطابق بين العمل ومؤلفه والتوافق معه، من خلال إعادة إنتاج العملية التي ولدت الأثر الإبداعي، كما اهتم دلتاي بدائرة التأويلية وساهم في توسعها، حيث يرى أن التفاعل بين الأجزاء يعطي المعنى الذي هو شيء تاريخي، وهو علاقة الأجزاء الفردية بالكل، وبالتالي استطاع دلتاي أن يوسع الدائرة الهرمينوطيقية لتشمل تجاربنا وخبراتنا الحياتية.

كما تأثر هيرش بشلايرماخر واعتبر أن فهم قصد المؤلف ضروري لفهم النص حيث اعتبره مقياس أساسي في عملية التأويل، فنحن نفهم العمل من خلال الفهم الصحيح لقصد مؤلفه.

وبالرغم من أن هرمينوطيقا شلايرماخر كان لها صدى كبير في أعمال الفلاسفة اللاحقين له إلا أنها لم تسلم من الإنتقادات ومن أبرزها نقد غادامير الذي إعتبر مهمة التأويل تكمن في فهم النص لا في فهم الكاتب، فنحن نهتم بما يحدث بالفعل في عملية التأويل بصرف النظر عن قصد ونية الكاتب

كما انتقد بول ريكور شلايرماخر واعتبر دور الهرمينوطيقا هي الكشف عن موضوع النص لا عن نفسية المؤلف وهو يعيب عليه فكرة إعادة بناء الخبرة الذاتية للمؤلف وفهمه أكثر من نفسه، فقد تجاوز ريكور النظرة الرومانسية السائدة، وأحدث منعطفا هرمينوطيقا مهما في تاريخ التأويل من خلال جدلية الفهم والتفسير حيث اعتبرهما متكاملان ولا يمكن الفصل بينهما.

ومن النتائج المستخلصة من خلال هذا البحث ما يلي:

حاول شلايرماخر أن يضع قواعد وقوانين لعملية الفهم وبالتالي يكون هرمينوطيقا عامة تجمع جميع الأفرع التأويلية .

اعتمد شلايرماخر في فلسفته التأويلية على صيغة محددة تتمثل في التأويل اللغوي النحوي والتأويل التقني، اللذان يشكلان الدائرة الهرمينوطيقية.

أثرت النزعة الرومانسية على العديد من جوانب فلسفة شلايرماخر مثل التأويل والدين والأخلاق.

شكلت هرمينوطيقا شلايرماخر مصدر الهام للعديد من الفلاسفة اللاحقين له، كما تعرضت أيضا للانتقادات.

قـــائمة المـــصادر والمـــراجع

1-أوغسطين(Augustinu)، (354-430)، أشهر أباء الكنيسة، ولد في سوق أهراس، درس في مسقط رأسه، ثم سافر الى مادورا ليدرس الخطابة، تأثر بالأدب الاتيني، كتابه الأول كان بعنوان في الجمال وفي اللياقة كان بين 380-381م، نقلا عن قاموس جورج طرابشي، ج1، ص117.

2-إدموند هوسرل(Edmund Husserl)، (1859-1938)، فيلسوف ألماني مؤسس منهج الظاهريات من أسرة يهودية لكنه اعتنق البروتستانتية، من مؤلفاته علم الحساب، أبحاث منطقية، نقلا عن موسوعة عبد الرحمان بدوي، ج2، ص538.

3-بول ريكور(paul Ricoeur)، (1913-2005)، فيلسوف فرنسي ولد في فالانس، يمثل في الفلسفة الفرنسية المعاصرة محاولة أصيلة تستلهم الوجودية والفينومينولوجيا بالأضافة إلى التيارات البنيوية والعقلانية أن تحضر نفسها بمسألة التأويل أي النظر في الوجود من خلال تحليل العقل الإرادي والا إرادي الذي وصف فيه إجابية الإنسان وسلبيته إزاء العالم، نقلا عن قاموس جورج طرابشي، ص342.

4-فلهام دلتاي(Wilhellm Dilthey)، (1833-1911)، فيلسوف ألماني ومؤرخ للأفكار وقد جمعت أعماله بعد وفاته في تسعة أجزاء من بينهما المدخل إلى العلوم الإنسانية 1883، التجربة الحية والشعر1905، نقلا عن كتاب علم الإستغراب لحسن حنفي، ص481.

5-فيلون السكندري(philo of Alxandria)، (20ق.م-50ق.م)، أول فيلسوف يهودي جمع بين الفلسفة والاهوت ويعد لا هوتيا أكثر مما يعد فيلسوفا، ولد في الإسكندرية، رائد الأفلاطونية المحدثة، نقلا عن موسوعة عبد الرحمان بدوي، ج2، ص219.

6-مارتن هيدغر(Martin Heidegger)، (1889-1976)، واحد من أعظم فلاسفة ألمانيا، المؤسس الحقيقي للوجودية، أحد المتأثرين بدلتاي، نقلا عن موسوعة عبد الرحمان بدوي، ج2، 597.